

الفساد

كيف نكافحه ؟

كتاب « مهارات مقاومة ومواجهة الفساد » للدكتور محمد عبد الغني هلال ، سلسلة مهارات تطوير الأداء ، نشر قرطبة للنشر والتوزيع ، الرياض ، ١٤٢٩هـ ، ١٨٨ صفحة .

محمد عبد الغني هلال له كتب أخرى ، منها ما ذكره في قائمة المراجع :

- مهارات إدارة الأداء ، مركز تطوير الأداء والتنمية ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .

- مهارات تحديث ونقل الخبرة ، مركز تطوير الأداء والتنمية ، القاهرة ، ٢٠٠٣ م .

يتألف كتاب الفساد من سبعة فصول :

- الفصل الأول : المفاهيم والأسباب .

- الفصل الثاني : العوامل المسببة للسلوك الفاسد .

- الفصل الثالث : البناء المؤسسي للمنظمات والوقاية من الفساد

- الفصل الرابع : الحوكمة (الحكم الراشد) ومقاومة الفساد .

- الفصل الخامس : تغيير السياسات الإدارية لمواجهة الفساد .

- الفصل السادس : محاربة الفساد .

- الفصل السابع : منظمة الشفافية الدولية .

سأعرض الكتاب من خلال العناوين التالية :

تعريف الفساد

استغلال المصلحة العامة لتحقيق مصلحة خاصة غير مشروعة :
رشوة ، ابتزاز ، سرقة ، اختلاس ، خيانة أمانة ، تزوير ، ظلم ،
كذب ، محسوبية ، لامبالاة ، تسبب ، تلاعب ، احتيال ، تمييز
عنصري ، هدر المال العام ، تهريب ، تهرب من الضرائب والجمارك
وسداد القروض ، مخدرات ، تعطيل مصالح الناس ، استغلال الضعفاء
كالعمال والنساء والأطفال .

انتشار الفساد

الفساد ينتشر كالسرطان ، ولا يتم اكتشافه إلا بعد فترة من الزمن .

أنواع الفساد

- عرضي .
- مؤسسي .
- منظم .

أسباب الفساد

- تنحية الدين والخلق عن الحياة .
- نظام سياسي استبدادي : زعماء فاسدون .
- قضاء فاسد : إجراءات طويلة ومعقدة ، تكافئ الظالم ، وتعاقب المظلوم .
- الجمع بين المال والسلطة .

- سوء استخدام السلطة .
- عدم وضع الشخص المناسب في المكان المناسب .
- الخلل في الثواب والعقاب .
- إخفاء المعلومات ونقص الشفافية والإفصاح .
- الصفقات السرية .
- غموض القوانين واللوائح وكثرة الاستثناءات والتجاوزات .
- ضعف الرقابة والمحاسبة والمساءلة .
- استخدام نظم محاسبية غير مناسبة ، واستخدام نوعين أو أكثر من الدفاتر .
- عدم الاكتراث بشكاوى الناس وتظلماتهم .

آثار الفساد

- الإثراء غير المشروع .
- تركيز الثروة والسلطة في يد حفنة قليلة من الفاسدين ، ووجود فئة قليلة ثرية ، وأغلبية فقيرة .
- انهيار عملية النمو والتنمية ، وتقويض خطط التنمية وبرامجها ، وضعف الإنتاجية .
- إفلاس الشركات والمنشآت ، مع ما يترتب على ذلك من تشريد العمال والموظفين .
- انتشار المنازعات والجرائم والاختلاسات والسرقات والمخدرات .
- انهيار المباني والجسور نتيجة الغش في المواد والصناعة .
- غسل الأموال .

الحوكمة

ظهر مصطلح الحوكمة في ثمانينيات القرن الماضي ، حيث بدأت المنظمات الدولية في استخدام عبارة « الحكم الجيد » Good Governance التي تحولت بعد ذلك إلى الحوكمة أو الحكم الراشد . ثم أعاد البنك الدولي استخدامه في البرامج السياسية والتنمية . وهو مشتق من لفظ « الحكومة » . وهو يعني مجموعة من الإجراءات التي تهدف إلى تخفيض تكاليف الصفقات أو الإدارة الاقتصادية الفعالة ، عن طريق الشفافية والمساءلة . وانتقل هذا المصطلح بعد ذلك من الحكومات إلى المنشآت والشركات ، ولعل هذا ما يفسر اشتقاق اللفظ .

ولا يمكن أن يكون لحوكمة الحكومات وجود إلا بوجود :

- ديمقراطية حقيقية .
- شفافية في إدارة الدولة .
- سلطة قضائية قوية .
- تعددية سياسية .
- معارضة حقيقية .
- رقابة شعبية (مجالس نيابية) .
- حرية تعبير .
- حرية اطلاع واستقصاء ومساءلة .

الحوكمة والمسؤولية الاجتماعية

تؤكد الحوكمة على محاربة الفساد وعلى المسؤولية الاجتماعية للمنظمات والمؤسسات . وتتلخص المسؤولية الاجتماعية في عدد من القواعد ، منها :

- احترام حقوق الإنسان .
- احترام حق التنظيم والمفاوضة الجماعية .
- القضاء على كافة أشكال التمييز .
- منع سوء استغلال عمل الأطفال .
- حماية البيئة .
- نشر التكنولوجيا غير الضارة بالإنسان .

كيف نحارب الفساد ؟

- وضع معايير لاختيار القيادات الكفؤة والنزيهة .
- إعلان الحرب على الفساد ، وليس مجرد رفع الشعارات والفرقعات الإعلامية والخطب الرنانة .
- الحوكمة .
- الشفافية في البيانات والإحصائيات والمعلومات .
- الشفافية في إدارة المزايدات والمناقصات والمشتريات الحكومية .
- الاهتمام بالتعليم والتدريب .
- إصلاح سياسي وإداري تشترك فيه جميع فئات المجتمع في عمليات صنع القرار .
- وضع نظام للحوافز يقلل من فرص الفساد .
- عقوبات صارمة وفورية لكل من يسهم في الفساد أو يشجعه ، لا تميز فيها بين صغير وكبير .
- بناء منظومة من القيم الفاضلة في المجتمع لإيجاد نوع من الرقابة الداخلية (رقابة الضمير) .

- توفير صناديق للشكاوى ، وخطوط هاتفية ، وبريد إلكتروني ،
وأجهزة للإنذار المبكر .

- الزيارات التفتيشية المفاجئة .

- تطوير الحلول تطويرًا مستمرًا ؛ لأن الاستمرار في حلول الماضي
يولد مشكلات الحاضر . فعلينا ألا نحبس أنفسنا في الحلول المألوفة
والمعتادة .

منظمة الشفافية الدولية

أنشئت في برلين عام ١٩٩٥ م . وتهدف إلى ما يلي :

- حماية المصلحة العامة ؛ لأن الفساد يحطم برامج التنمية ، وينتهك
حقوق الإنسان .

- نشر الديمقراطية ؛ ولا سيما في البلدان النامية .

- التأكيد على القيم الأخلاقية ؛ لأن الفساد يشوّه نزاهة المجتمع .

- حماية حركة السوق والمجتمع ؛ لأن الفساد يشوّه السوق ، ويسلب
منافع المجتمع .

- إصدار تقرير سنوي عن الفساد في مختلف بلدان العالم ، ترتب فيه
هذه البلدان حسب مستويات الفساد السائدة فيها .

مراجع أخرى في الفساد

- التعاون الدولي لمكافحة الفساد ، روبرت كليتجارد ، مجلة
التمويل والتنمية ، صندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي ، واشنطن ،
مارس ١٩٩٨ م .

- الفساد والتنمية ، دانيال كوفمان وشيريل جراي ، مجلة التمويل

والتنمية ، صندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي ، واشنطن ، مارس ١٩٩٨ م .

- الفساد : الأسباب والتتائج ، باولو مورو ، مجلة التمويل والتنمية ، صندوق النقد الدولي ، والبنك الدولي ، واشنطن ، مارس ١٩٩٨ م .

- المال السهل : قاموس الفساد في فرنسا ، جيلز غتنر ، ستوك ، باريس ، ١٩٩١ م (بالفرنسية) .

* * *

obeikandi.com

هل نستطيع السيطرة على الفساد ؟

السيطرة على الفساد Controlling Corruption عنوان كتاب روبرت كليتجارڊ Robert Klitgaard ، ترجمة علي حسين حجاج ، ومراجعة فاروق جرّار ، دار البشير ، عمّان ، ١٩٩٤م ، ٢٨٥ صفحة ، والنسخة الإنكليزية تاريخها ١٩٨٨م .

سأقوم بتلخيص الكتاب تحت العناوين التالية :

مقدمة

موضوع الفساد موضوع يتحاشى الناس ذكره ، ويتلمسون الأعذار لتجنب الخوض فيه ؛ لأنه من الموضوعات الحساسة ، حتى إن غونار ميردال ، الاقتصادي الحائز على نوبل ، سمى التهرب من البحث في الفساد « دبلوماسية البحث العلمي » . فهناك من يقول بصريح العبارة : لا يمكن عمل أي شيء لإزاء الفساد . والفساد استشرى كالسرطان ، فهو في كل مكان من العالم ، وهو موجود عبر التاريخ كله . وإذا كان المتربعون على القمة فاسدين ، وكان النظام بكامله فاسدًا ، فلا أمل يرتجى . وعندما ينتصر في المجتمع من هو مجرد من الحياء ، وعندما يُعجب الناس بالمسيء ، وعندما تنتهي المبادئ ، ولا تعم إلا الانتهازية ، وعندما يتسلم المتغطرسون الحكم ، ويصبح كل شيء فاسدًا ، وتسكت الغالبية ، علينا أن نكفّ عن مصارعة طواحين الهواء .

مع ذلك يحاول هذا الكتاب أن يأخذ الجوانب العملية من مشكلة

الفساد مأخذ الجد ، وأن يقدم أدوات تحليلية ، ودراسة حالات فساد محددة ، لاستثارة حماسة الباحثين لمعالجة الموضوع ، وإيجاد حلول خلاقة له .

تعريف الفساد

وضع المصلحة الخاصة فوق المصلحة العامة ، بصورة غير مشروعة .

الفساد منتشر في البلدان الغنية والفقيرة

فهناك فضائح فساد حتى في أوروبا ، واليابان ، والولايات المتحدة الأمريكية .

البلدان الفقيرة أقل قدرة على تحمل الفساد

الفساد ينتشر في البلدان الغنية والفقيرة ، ولكن جسد البلدان الفقيرة أضعف من أن يتحمل مستويات الفساد الشائعة فيها .

الفساد منتشر في القطاع العام والخاص

قد يتصور البعض أن الفساد مقصور على الدولة والقطاع العام ، لكن الحقيقة أنه موجود أيضاً في شركات القطاع الخاص ، في سلوك المديرين والعاملين ، وفي تعامل هذه الشركات مع الغير : المستهلكين ، والمصارف ، والضرائب ، والجمارك . وتزداد نسبة الفساد في القطاع الخاص كلما كبر حجم الشركة ، وكلما كان أصحابها مقربين إلى السلطة السياسية ومحميين بها ومدعومين منها .

الفساد منتشر بين الحكام والتجار

الموظفون كبارهم وصغارهم مظنة الفساد ، إلا من رحم ربك .

وكذلك التجار ، يقول (كانت) : إن أمة جميع أفرادها من التجار هي أمة جميع أفرادها من المحتالين .

تعليق : لذلك قيل : إن التجار فجّار إلا ما ندر ، ولذلك كانت مرتبة التاجر الصالح والصدوق مرتبة عالية ، فهو يحشر مع الصديقين والأنبياء والشهداء .

منافع الفساد (هل للفساد منافع ؟)

- تعود للمفسدين .

- الرذائل والمفاسد لا يشترط أن تكون ذات مضارّ محضة ، فقد يعدّ رذيلة ما زاد فيه الضرر على النفع . فالعبرة بالصافي .

مضارّ الفساد

- تعود على المجتمع ، ويتحملها الشرفاء ، وتُلحق الأذى بالعدالة والكفاءة والإنتاجية .

- الموظفون الفاسدون يطردون الموظفين الصالحين (الفاسد يطرد الصالح ، مثلما أن العملة الرديئة تطرد الجيدة : المقرزي/ غريشام) .

- الفساد يلتهم التنمية .

- الفساد يؤدي إلى التخلف .

- الفساد ينهش في لحم الكثير من البلدان النامية .

- الفساد يلتهم الموارد المالية للبلد .

- الفساد يشوّه نظام الحوافز والثواب والعقاب .

- الفساد يشجع السلوك غير المنتج ، بل الضارّ .

- الفساد يؤذي التعليم والصحة والقضاء والأمن والاستقرار .

- الفساد يؤدي إلى التضليل وتسمية الأشياء بغير أسمائها ، كتسمية الرشوة هدية أو إكرامية أو عمولة ، أو تسمية الفساد شطارة أو فهلوة ، أو اعتبار الشخص الفاسد من الرموز أو من ذوي الجاه ، فمن لا يجمع ثروة من عمله فهو غبي ، أو اعتبار قصص الفساد قصص نجاح وبطولة !

- الفساد ينتقص من هيبة البلد وزعمائه وعلمائه وشعبه وقيمه ودينه .

- الفساد يسيء إلى سمعة البلد في التجارة الدولية والسياحة ، ويحكم على البلد بأنه ذو تصنيف سيئ في التقارير العالمية الصادرة عن منظمة الشفافية العالمية وغيرها .

- انتشار ثقافة الفساد بدلاً من ثقافة الصلاح .

- الفساد يؤدي إلى وقوع الأزمات وانهيار الشركات والمنشآت .

- الفساد يؤدي إلى الإفلاس وتراكم الديون .

- الفساد يحمي الرذائل والمنكرات : بيوت القمار ، دور الدعارة ، أوكار المخدرات .

- لولا الفساد لتقدم البلد .

- الفساد يعتمد على مكافحته ، فلا تكاد تجد لمكافحة الفساد ذكراً في الدراسات التنموية والكتب الدراسية والمناهج التعليمية . من الذي يضع البرامج ؟ هل هم الفاسدون ؟

- ربما لا يحتاج الناس كثيراً إلى بيان مضارّ الفساد ، فهم يدركون ذلك بالفطرة والتجربة والمعاشية ، وقد يبلغ استيائهم منه حدّ الثورة .

دراسة خمس حالات فساد

- الفيلبين : حالة تطهير ضريبة الدخل من الفساد . نجاح التجربة بواسطة قاض نزيه : القاضي بلانا .

- هونغ كونغ : حالة تطهير قوة الشرطة من الفساد . إحداث اللجنة المستقلة لمحاربة الفساد .

- سنغافورة : حالة تطهير الجمارك من الفساد . إحداث مكتب تحري الممارسات الفاسدة .

- كوريا الجنوبية : مشتريات الجيش الأمريكي . إلغاء رابطة المنافع المتبادلة .

- روريتانيا : تطهير المؤسسة الوطنية للأغذية . البطاقات التموينية .

من مظاهر الفساد

الرشوة ، الابتزاز ، الاختلاس ، السرقة ، الغصب ، النهب ، التهريب ، التهرب من الضرائب والجمارك والرسوم ، تسوية المخالفات المرورية ، الدجل ، الاحتيال ، التواطؤ ، التبذير ، التزوير ، الانتخابات ، الإيصالات) ، المحاباة ، الاستئثار ، الاحتكار ، الظلم ، الغش ، الخداع ، سوء استعمال السلطة ، سوء توزيع الثروة والسلطة ، استغلال النفوذ ، الاستبداد ، طغيان الأقوياء والأثرياء ، التواطؤ أو التحالف بين المال والسلطة ، عجز الفقراء والضعفاء ، سوء تخصيص الموارد ، التفاوت الفاحش في الثروة والدخل والامتيازات (غنى فاحش وفقير مدقع ، ويا ليت الغنى كان مشروعًا !) ، التوزيع حسب القوة وليس حسب الكفاءة والحاجة ، سرقة المال العام والأراضي العامة والمساعدات الدولية ، بيع وشراء المناصب والوظائف ، الأغذية الفاسدة ، اللحوم الفاسدة (هل هي لحوم غنم وبقر ، أم هي لحوم حمير ؟) ، الأسلحة الفاسدة ، الإعلام والصحافة الفاسدة ، الضمائر الفاسدة ، مخالفة الدستور والقوانين واللوائح ، التحكم بترخيص العمل والاستيراد والتصدير ، التخلف الاقتصادي والثقافي والعلمي ، عرقلة

المعاملات وتأخيرها ، التلاعب بالمستندات والحسابات والمزايدات والمناقصات والمشتريات ، تشويه نظام الحوافز ونظام المكافآت والعقوبات (الثواب والعقاب) ، انتشار المخدرات والجرائم والأمراض ، عدد البطاقات التموينية ضعف عدد السكان . . . هذه هي الحلقة المفرغة والمردولة للفساد ، أو دوامة الفساد ، أو التخلف إن شئت .

الفساد يهدد الناس

- التحق بالركب : أي إذا أردت أن تكون فاسدًا فالتحق بالعصابة .
- سِرْ بمحاذاة الركب : إذا لم تُرد أن تكون فاسدًا فأنت وشأنك ، لكن إياك والتدخل فيما لا يعنك .
- لا تقفُ أمام الركب : إذا ما حاولت الإبلاغ عن الركب فإن الركب سيلقي بك تحت الأقدام ، وسيصل إليك بطريقة أو بأخرى .

هل يمكن القضاء على الفساد ؟

هناك من يرى أن الفساد لا يمكن القضاء عليه ولا التخفيف منه ، وهناك من يرى أن التخفيف ممكن . وثمة أمثلة عملية في عدة بلدان ، كان من نتائجها التقليل من الفساد ما أمكن ، مع السرعة في الحصول على هذه النتائج .

هل المقصود أن نصل إلى معدل فساد يبلغ الصفر ؟

الفساد موجود ومنتشر ، ومن الممكن محاربته للتخفيف منه ، وقد لا يكون القصد أن نقضي عليه قضاءً مبرمًا ؛ لأن القضاء على الفساد له تكاليف ، ومن ثم يجب الموازنة بين المنافع والتكاليف ، أو بين الأرباح

والخسائر ، وبناءً على هذا قد يبقى هناك شيء من الفساد لم يتم القضاء عليه . ولا يعني هذا الموافقة على الفساد ، ولا تشجيعه . لكن هناك فرق بين الرغبة النظرية والرغبة العملية . فنحن نرغب في عالم خالٍ من الفساد تمامًا ، ولكن القضاء على الفساد قضاءً تاماً قد يؤدي إلى الإفراط في التكاليف ، حتى تصير التكلفة المدفوعة أعلى من المنفعة المتحققة . وبعبارة أخرى علينا أن نمضي في محاربة الفساد حتى تتساوى التكلفة الحدية مع المنفعة الحدية ، حسب القانون الاقتصادي المعروف .

قليل من الفساد

يعتقد بعض الغربيين أن القليل من الفساد ينعش الاقتصاد ، وهذا كقول البعض بأن القليل من الخمر ينعش الجسم ! وهو غير مسلم . طبعاً هناك حالات يضطر فيها الإنسان أحياناً إلى دفع الرشوة للحصول على حقه ، عندما لا تكون له حيلة في تغيير المنكرات ، عندئذ يكون القابض آثماً ، والدافع غير آثم ؛ لأنه مكره . ولعل هذا ما عناه هؤلاء الغربيون عندما قالوا بأن الفساد ليس كله شراً . ويمكن أن نتساءل هنا عما إذا كانت هذه الحالة الاضطرارية تدخل في الفساد أم لا تدخل . لكن يجب بذل العزائم في محاربة الفساد وعدم التوسع في التساهل والحيل .

صعوبة معالجة الفساد عندما تكون الرؤوس الكبيرة فاسدة

إذا كانت القيادة العليا فاسدة فإن معالجة الفساد تزداد صعوبة ؛ لأن الفساد الصغير يكون محمياً بالفساد الكبير (شبكات فساد مستحكمة) . أما إذا كانت القيادة صالحة نسبياً فإن من الممكن الحصول على الدعم السياسي لمعالجة الفساد ، بحيث تصبح أيسر وأسرع وأنجع . والوصول إلى الرؤوس الكبيرة ليس سهلاً ، ولكن قد يطمح الزعماء إلى محاربة

الفساد لأجل كسب ثقة الشعوب . والقضاء على رؤوس الفساد والحيتان الكبيرة صعب ، ولكنه أكثر حسماً . أما الاقتصار على الفساد الصغير فقد لا يكون ناجعاً ، وقد يكون المراد منه مجرد ذرّ الرماد في العيون .

إذا كانت القيادة فاسدة

إذا كان الحاكم مخلصاً ومستقيماً فإن العاملين الشرفاء هم الذين سيخدمون في حكومته ، وسيلجأ المفسدون إلى أوكارهم . أما إذا لم يكن الحاكم مستقيماً فإن الأشرار سيسرحون ويمرحون ، وسيأوي الرجال المخلصون إلى معتزلاتهم .

اكتشاف الفساد قبل معالجته

مما يدل على الفساد : إسراف الموظف في الاستهلاك ، لعب القمار ، ارتياد النوادي الليلية ، والبيوتات المترفة ، تراكم الثروة ، عضوية نواد خاصة ، عدم دفع فواتير المطاعم والفنادق (من أين لك هذا ؟ ثروته أكبر من راتبه ، ثراء لا يمكن تفسيره ، مستوى معيشته أعلى من دخله : حياة باذخة مع عجرفة وتكبر) .

أساليب لمعالجة الفساد

- الحوكمة ، أو الحكم الجيد ، ويطبق هذا على الحكومات والشركات والمنشآت .

- الشفافية في الحقوق والواجبات والمعاملات والتكاليف .

- تقرب الصالحين واستبعاد الفاسدين .

- تغيير الاتجاهات والمواقف أمام الفساد : الفضيلة ، لا الطمع ، هي التي يجب أن تقود وتسود .

- منع المحسوبة .
- رفع مهارة القضاة ، والمحاسبين ، والمراجعين ، والمدققين ، والمراقبين ، والمفتشين .
- استخدام البنوك في تحصيل الأموال .
- وضع قوانين ومعايير صالحة .
- وضع اختبارات لقياس الكفاءة والأمانة والنزاهة .
- تصحيح أوضاع الموظفين والعاملين ، وسد حاجاتهم الأساسية ، وحمايتهم من الفقر ، لسدّ الذرائع الموصلة إلى الفساد .
- استخدام المكافآت المعنوية غير المادية : نقل ، تدريب ، سفر ، ثناء ، رسائل شكر ، تكريم ، دروع .
- التنظيم العلمي للعمل والقضاء على الفوضى والتسيب .
- تنظيم العمل بحيث لا يستطيع فرد واحد أن يسيطر على كل مراحل النشاط أو المعاملة : الحد من القدرة الواسعة على التصرف .
- نشر الدين الصحيح والأخلاق والفضائل الحميدة ومجاربة الرذائل .
- التفتيش المفاجئ .
- صندوق للشكاوى .
- خطوط هاتفية ساخنة .
- الإبلاغ عن الفاسدين ، مع ضمان عدم كشف أسماء المبلغين .
- بث الخوف والرعب في قلوب الفاسدين .
- رفع الثمن الأخلاقي لمن تسوّّل له نفسه أن يكون فاسدًا .
- مداومة اجتماعات التواطؤ وأخذ صور للمشاركين فيها .

- وضع غبار مسحوق الفوسفور الوميض على العطاءات (في المزايدات والمناقصات) ، واستخدام الأشعة فوق الحمراء ، لمنع إضافة صفحات أخرى على العطاءات .

- إدخال مقررات دراسية لمكافحة الفساد في المدارس والجامعات .

- مسرحيات وأفلام ومسلسلات تعزز محاربة الفساد ، ولا تثبطها (مثل المسلسل السوري ١٩٩٣م : يوميات مدير عام تأليف زياد الريس وإخراج هشام شربتجي وبطولة أيمن زيدان ، وهو مسلسل ناجح وشيق ولكن اختيار خاتمة محبطة مدعاة للتأمل) .

- نقل عبء إقامة البرهان إلى المتهم : إثبات البراءة بدلاً من إثبات الاتهام . اعتبار كل موظف فاسداً أو مذنباً حتى تثبت براءته . وهذا خلاف الأصل ، ولكن قد يلجأ إليه عند تفشي الفساد من القمة إلى القاعدة .

- التشهير بالفاسدين والمفسدين في الإعلام والصحف والبرامج الإذاعية والتلفزيونية .

- تغيير عمل الموظف بصورة دورية .

- كل اثنين يعملان معاً : للحد من الاتصالات المنفردة .

- تشكيل لجان لتقييم الأداء .

- استخبارات .

- إنذار مبكر .

- مراقبة .

- مساءلة .

- عقوبة رادعة : خصم ، نقل ، غرامة ، حرمان من الترقية ، سجن ، طرد .

- تحديد ثروة المسؤول (الرئيس ، الوزير) عند الدخول في المنصب ، وعند الخروج منه .

- توسيع دائرة النظر من المسؤول إلى زوجاته وخليلاته وأولاده وأقربائه وأصدقائه . فقد تسجل الثروات النقدية والعقارية باسم هؤلاء لأجل التمويه .

- تضيق فرص الفساد .

- يمكن تطبيق هذه الإجراءات والأساليب بصورة مفاجئة وغير مستمرة لتخفيض التكاليف .

وصايا إستراتيجيات التنفيذ

- ميّز بين القضايا الظاهرة والقضايا الإستراتيجية .

- اجمع التأييد السياسي .

- احمِل الجمهور على الوقوف وراء مكافحة الفساد .

- حطّم ثقافة الفساد في مؤسستك .

- تحرك بطريقة إيجابية وبطريقة سلبية .

- اربط بين إجراءات مكافحة الفساد وبين رسالة مؤسستك .

- فتش عن الإنسان النظيف وقدم له الدعم والمساندة .

- اطرّد الفساد .

- ألا فليسقط الفاسدون والمفسدون أيّا كانوا وأيّما كانوا .

خاتمة

- يقول المؤلف : هناك فراغ في أدبيات الفساد ، ويتمثل هذا الفراغ في أنه لم يجر التأكيد على الفساد ، وأنه عندما كانت تجري دراسته فقد

- كان يتم ذلك في سياق عام أو سياق أخلاقي .
- لا بد أن هناك خطأ ما في المجتمعات التي يسيطر عليها الفساد .
 - لا بد أن هناك خطأ ما عندما تتعايش الثروات الكبيرة مع القذارة والفساد السياسي .
 - عندما تُسحق حقوق الإنسان .
 - عندما تتنكر التفرقة العنصرية لأدميتنا .
 - لكن علينا ألا نستسلم لإغراءات الهروب من المشكلات الصعبة ، بحجة أنه ليس في الإمكان أحسن مما كان ، أو بحجة أننا لا نستطيع فعل شيء .
 - إنني أرى أن صانعي السياسات والمواطنين ليسوا عاجزين عن العمل . فهناك أشياء يمكننا عملها حتى بالنسبة لأصعب المشكلات ، لاسيما في البلدان الأكثر فقرًا .

الترجمة

الترجمة جيدة ومفهومة ، لكن المراجعة شكلية كما هي الحال في معظم المراجعات . فهناك بعض العبارات التي كان من الممكن أن تكون أفضل ، مثل التكلفة الهامشية والمنفعة الهامشية ، التي عدلتُ عنها في هذه المراجعة إلى التكلفة الحدية والمنفعة الحدية . وهناك أخطاء لغوية ، مثل :

- الفساد المضطرد ، والصواب : المطرد .
- الأربع سنوات ، والصواب : السنوات الأربع .
- مفتشوا المباني ، والصواب : مفتشو ، بدون ألف .
- المشتروات ، والصواب : المشتريات .

- المكافآت ، والصواب : المكافآت .
- التجزأة ، والصواب : التجزئة .
- سوى اثنان وثلاثون ، والصواب : اثنين وثلاثين .
- إحدى الأعراف ، والصواب : أحد الأعراف .
- نفترض أن أمام الوكيله فرصتان ، والصواب : فرصتين .
- من الواضح أنهم يميلوا ، والصواب : يميلون .
- خضع جميع المعينون ، والصواب : المعينين .
- وصلت إلى مستوى حرجًا أو مرضيًا ، والصواب : حرج أو مرضي .
- رسى العطاء ، والصواب : رسا .
- الخطة هنا هي جعل الكوريون أنفسهم ، والصواب : الكوريين .
- مورّد محتكر يساوم مشتري ، والصواب : مشتريًا .
- ليس لدى فلان وزملاؤه ، والصواب : وزملائه .
- كانت مبتلية بالفساد ، والصواب : مبتلاة .
- حجم القمح والسكر اللذان ، والصواب : اللذين .
- ٦٥ مليون ، والصواب : مليونًا .
- لن يجر الإبلاغ عنها ، والصواب : يجري .
- تجعل الباحثون يجفلون ، والصواب : الباحثين .
- إذا كان الفساد ضار أم نافع ، والصواب : ضارًا أم نافعًا .
- معظم صانعو السياسات ، والصواب : صانعي .
- أن تكون لديك نقودًا ، والصواب : نقود .

والحبل على الجرار يا فاروق جرّار .

وكان من المستحسن وضع قائمة مصطلحات في آخر الترجمة .
فمصطلح مشكلة الرئيس والوكيل لعل صوابه : مشكلة الأصيل والوكيل .
وإضافة هذه القائمة لا ريب أنها من مصلحة القارئ العارف باللغة
الأجنبية ، لكنها قد لا تكون من مصلحة المترجم والمراجع ؛ لأنها قد
تكشف عن (الفساد) الواقع في الترجمة والمراجعة ، وقد تكون ضريباً
من سرّ المهنة لدى المترجم .

* * *

متلازمات الفساد الثروة والسلطة والديمقراطية

هذا كتاب لمايكل جونستون Michael Johnston ، ترجمة نايف الياسين ، ونشر مكتبة العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٨م ، والنسخة الأجنبية منشورة في ٢٠٠٥م بعنوان Syndromes of Corruption ، عدد صفحات الترجمة العربية ٤١٧ صفحة .

مايكل جونستون هو أستاذ كرسي تشارلز دانا للعلوم السياسية ، ورئيس قسم العلوم الاجتماعية في جامعة كولغيت ، وزميل في الصندوق القومي للعلوم الإنسانية في معهد الدراسات المتقدمة في جامعة برنستون في نيوجرسي .

يتضمن الكتاب ثمانية فصول :

- الثروة والسلطة والفساد .
- البيئة الدولية : السلطة والإجماع والسياسات .
- المشاركة والمؤسسات ومتلازمات الفساد .
- أسواق النفوذ : نفوذ للإيجار ، وقرارات للبيع .
- كارتيلات النخبة : كيف تشتري الأصدقاء وتحكم الناس ؟
- الأوليغاركات والعائلات : السلطة والإفلات من العقاب ومخاطر حكم اللصوص .
- من التحليل إلى الإصلاح .

صورة الغلاف

يظهر فيها ستة رجال كل واحد منهم يضع يده في جيب الآخر ، وهي مستمدة من سلسلة (أنا والفساد) لرسام الكاريكاتير السياسي رشيد شريف من أذربيجان ، بعد الحصول على إذن الفنان وفرع المنظمة الدولية للشفافية في أذربيجان .

شكر الزوجة والأبناء

« كائنة ما كانت مزايا هذا الكتاب ومثالبه ، ما كان له أن يُكتب لولا القدر الكبير من الدعم والمشورة . لقد تحملتُ زوجتي (بيتسي) وابنائي (مايكل وباتريك) من الحديث عن الفساد أكثر مما يمكن أن يتحملة أي شخص آخر خلال حياته كلها ! »

فكرة الكتاب

« يشكل الفساد تهديداً للديمقراطية والتنمية الاقتصادية ، في العديد من المجتمعات . وهو ينشأ من الطرق التي يسعى الناس من خلالها للحصول على الثروة والسلطة » .

هل الفساد يعني الرشوة فقط ؟

في معظم الأحيان يتم اختزال الفساد إلى مرادف للرشوة ، والعمولات غير المشروعة ، وتشحيم (أو تزييت) العجلات . والحقيقة أنه أوسع من ذلك بكثير ، كالاغتياز والنهب ، والاختلاس والسرقة ، والواسطة والمحسوبية ، والاحتياال والغش ، والظلم ، والتزوير ، والتواطؤ ، والتهرب من الضرائب والجمارك وسداد القروض ، واستغلال النفوذ ، وسوء استخدام السلطة ، وبيع وشراء السلطات والوظائف ، وسرقة

الموارد العامة لمكافأة الأتباع وشراء التأييد والولاء ، وشراء النفوذ والذمم والضمانات ، وعدم الفصل بين العام والخاص ، والأغذية الفاسدة ، والأسلحة الفاسدة ، وانهايار الأبنية والجسور والأنفاق ، وعقد الصفقات السرية ، وجداول رواتب بأسماء وهمية ، وتسجيل الأصول العقارية والمالية بأسماء الأبناء والأحفاد والزوجات والأقارب ، والتلاعب بالميزانيات والحسابات والقوانين لحماية الفاسدين ، وفقدان الشفافية والإفصاح ، وعدم المحاسبة والمساءلة .

هل للفساد فوائد ؟

- ذهب بعض رجال الاقتصاد والسياسة في الغرب إلى أن الفساد قد يكون له فوائد ، بحيث يمكن أن تستعمله النخب للحصول على الدعم السياسي ، ويمكن أن يستعمله رواد الأعمال (المنظمون) والمستثمرون لتجاوز الاختناقات البيروقراطية ، وشراء القدرة على التنبؤ .

- غير أن البحوث الحديثة جعلت من الصعب الاعتقاد بأن ثمة شيئاً جيداً في الفساد ، ولا سيما على المدى البعيد .

- « كان السياسيون المحليون في (باليرمو) يوزعون فردة حذاء لكل ناخب قبل الانتخابات ، والفردة الثانية بعد الانتخابات إذا ثبت لهم أن أوراق الاقتراع كانت كما توقعوا » .

متلازمات الفساد

- أسواق النفوذ : الولايات المتحدة ، اليابان ، ألمانيا .
- كارتيلات النخبة : إيطاليا ، كوريا ، بوتسوانا .
- حكم الأوليغاركات والعائلات : روسيا ، الفيليبين ، المكسيك .
- المسؤولون الحكوميون : الصين ، كينيا ، أندونيسيا .

كل مجموعة من هذه البلدان تتميز بخصائص فساد محددة ومشتركة فيما بينها .

انتشار الفساد

قد ترتفع معدلات الفساد ، وينتشر الفساد الكبير والصغير إلى أن يصبح الفساد هو القاعدة ، بعد أن كان هو الاستثناء . وعندئذ يصبح فساداً منهجياً منظماً ومستحكماً ومتأصلاً ومتجذراً ، بحيث يصير أقوى من النظام الحاكم ، بافترض أن هذا النظام يريد فعلاً أن يحارب الفساد ، ويستطيع ذلك .

من الذي يحكم ؟

الحكومة أم الجيش أم اللصوص وكبار تجار المخدرات ؟

آثار الفساد (تكاليف الفساد)

- يعود بالفائدة على حفنة قليلة من الناس ، على حساب الأكثرية .
- يؤخر ويشوه التنمية الاقتصادية . والفساد الذي يصعب التنبؤ به هو أخطر أنواع الفساد ضرراً على التنمية .
- يكافئ عدم الكفاءة .
- يشوه الحوافز .
- يقضي على المنافسة .
- يؤدي إلى الاحتكار والاستئثار واقتناص المعلومات والاستيلاء على الفرص والعقود والوكالات والامتيازات وقنوات الارتقاء الاجتماعي والتحكم بالزراعة والصناعة والتجارة والخدمات ، وخلق إقطاعيات وإمبراطوريات اقتصادية وتجارية .

- الهيمنة على الاقتصاد والثروة النفطية والنظام المالي والمصرفي
وعمليات الاستيراد والتصدير وتعيين الموظفين وعزلهم وسائر شؤون
الحياة .

- يؤدي إلى سرقة أموال التحرير الاقتصادي والخصخصة .
- هدر الموارد ، والإسراف ، والترف ، والتبذير ، والبذخ في الطعام
والشراب ، والولائم ، والمنازل والقصور ، والمنتجات والألبسة ،
والسيارات والطائرات .

- يؤدي إلى مقاومة الإصلاح الإداري والمالي والمحاسبي والحوكمة
(الحكم الرشيد) .

- خدمة الأجندات الشخصية للقادة .
- قوانين معقدة وغامضة .
- نهب الاقتصاد .
- انتشار الأسواق السوداء .
- فقدان المواد والسلع وارتفاع أسعارها .
- الشراء غير المشروع .
- يحصل مديرو الشركات على تعويضات كبيرة جدًا لا تبررها
كفاءتهم ، وهذا اليوم منتشر في البلدان الغنية والفقيرة على السواء .
- تخريب البيئة والمناخ الملائم للنهضة والتقدم .
- انتشار الكسل والترهل واللامبالاة بين العاملين .
- انتهاك العدالة والحقوق الأساسية والإجراءات القانونية .
- تيسير الحياة على الفاسدين ، وتعسيرها على الصالحين ومخالفهم
في الرأي .

- تحويل الموارد عن مقاصدها الأصلية .

- إضعاف التعليم والصحة والقضاء .

- انتشار الأمراض النفسية والبدنية والأوبئة ، وحالات الانتحار
والموت المفاجئ ، وارتفاع معدل الوفيات ، وانخفاض متوسط العمر
المتوقع عند الولادة .

- يضر بالدين والخلق والقيم .

- إفراغ الديمقراطية من مضمونها ، عن طريق المال السياسي ،
وتزوير الانتخابات ، وتمويل الحملات الانتخابية ، وشراء الأصوات ،
وإضعاف المعارضة وجعلها صورية وضرباً من ضروب التهريج
السياسي . وإضعاف منظمات المجتمع المدني . والنتيجة هي هيمنة
الحزب الواحد : الحزب الحاكم وزبائنه .

- يرتبط غالباً بالعنف .

- انعدام الأمن ، وانتشار الجرائم والمجرمين والإرهاب والنهب
والتفجير والقتل والاغتيال ، والاتجار بالبشر والممنوعات ، ونشر بيوت
الدعارة والقمار وأوكار المخدرات .

- تصبح المافيات هي أداة تنفيذ العقود .

- غسل أو تبييض الأموال .

- يحكم الناس أراذلهم وأشدّهم جهلاً وبلطجةً .

- قد يتواطأ الفاسدون والمجرمون مع قوى الشرطة والجيش وكبار
المسؤولين والتجار ؛ لتقاسم الغنائم والاعتداء على حقوق الملكية
واغتصاب الأراضي والعقارات والأموال العامة والخاصة والأوقاف
وأموال المساعدات والتبرعات الخيرية .

- إرهاب الناس وتقييد حريتهم في الرأي والنقد والمحاسبة ، ونشر الأحكام العرفية .

- قد يكون هناك عدد أكبر من المسؤولين الذين تجب رشوتهم ، وربما لا يكونون قادرين على تقديم المقابل المطلوب منهم .

- السيطرة على الإعلام وتوجيهه لخدمة الفساد والفاستدين والمفسدين .

- انتشار الفقر والقهر والامتعااض والسخط الاجتماعي : إما أن تدفع أو لا تمرّ .

- الأغنياء أكثر غنى ، والفقراء أكثر فقراً ، والقضاء على الطبقة المتوسطة .

- زيادة تكاليف الصفقات ، وزيادة المخاطر وعدم التأكد ، والمنازعات والتوترات ، والاضطرابات وكثرة الشكاوى في المجتمع .

- إيجاد طبقة ثرية متسلطة من الزعماء ومحاسبيهم وعوائلهم وحواشيهم ، يفلتون من المحاسبة والمساءلة والعقاب ، ويعيقون عمليات التحقيق والمقاضاة بالتأخير وتأجيل المحاكمات وقتل القضية والشهود ، أو الحفظ أو الإعفاء ، دون أي رادع أو خوف من العقوبة .

- الرد على (الفساد بالفساد) .

- الفساد ينمو بسرعة .

- إشاعة الجشع والكذب والتضليل ، والخداع في البيانات والإحصائيات والأرقام والخطط والبرامج .

- انتشار الفضائح المالية والجنسية .

- انتماء المسؤولين إلى الأحزاب والجماعات والمنظمات السرية المشبوهة ، كالمحافل الماسونية وما شابهها .

- التنازل لصالح القوى الكبرى والشركات الاحتكارية والاستسلام لشروطها وطلباتها ، وربما يلبي طلبها بدون أن تطلب ، وتعطى أكثر مما تريد وتتوقع .

- قد يتم تهريب الثروات والعملات إلى الخارج ، طلباً للحماية والمزيد من التكسب والتربح .

- هجرة العقول وهروب رؤوس الأموال .

- إضعاف سيطرة الدولة وهيبتها أمام الشعب وأمام البلدان الأخرى .

- الحرص على البقاء في السلطة ، من أجل الثروة والاحتماء من المحاسبة والافتضاح ، ولو أدى ذلك إلى معارك دامية ووصول الدم إلى الركب . فمن جرّب السلطة وذاق طعمها فلن يتخلى عنها بسهولة ، وصاحبها سيكون ذاهلاً عن كل المخاطر العالية المرتبطة بها ! وسيزعم الزعيم أن لا أحد يستطيع أن يخلفه في الحكم ، بعد أن تمرّس وتمترس وافترس .

- الأزمات والإفلاس ، والانهيال الكامل ، وإشعال الحروب الأهلية حتى تصير البلد لقمة سائغة للاحتلال من قبل الأعداء .

بصيص الأمل

كوريا حاربت الفساد وحققت تقدماً هائلاً خلال عامين فقط !

تعليق

- الفساد هو التخلف .

- القضاء على الفساد هو الطريق إلى التقدم السريع والفعال .

- مع الفساد ، لا يحتاج الموظفون إلى معرفة المصالح العامة وطرق التوصل إليها ، كل ما يحتاجون إليه هو معرفة مصالحهم الخاصة ! فإذا وجدتهم منهمكين بالعمل والسفر والاجتماعات فاعلم أنهم منهمكون فيما ينفعهم خاصة ، لا فيما ينفع الأمة عامة . ومن ثم فهم لا يحتاجون إلى علم وخبرة .

- الحكام هل يجيدون الحكم أم يجيدون ملء الجيوب ؟
- هل السلطة في خدمة الشعب ، كما يُعلن في الشعارات والياфطات ، أم هي في خدمة المصالح الخاصة ؟

المراجع

١٨ صفحة .

الترجمة

- جيدة وواضحة ، لكن هناك بعض الأخطاء اللغوية ، منها :
- لا تختلف عن بعضها ، والصواب : لا يختلف بعضها عن بعض . وهذا خطأ متكرر كثيراً .
 - كلا الإستراتيجيتين ، والصواب : كلتا . وهو خطأ متكرر .
 - يكون جزءاً كبيراً غير منظم ، والصواب : جزء كبير .
 - هذا المؤشر بالكاد يقيس ، والصواب : لا يكاد يقيس . وهو خطأ متكرر .
 - المواقف اتجاه السلطة ، والصواب : تجاه ، أو أمام .
 - الرحلة اتجاه الهدف ، والصواب : باتجاه .
 - ثلاث مئة دائرة ، والصواب : ثلاثمئة .

- تسيطر على الحكومات (. . .) وجزءًا كبيرًا من المجتمع المدني ،
والصواب : وجزء كبير .

- يعتبر النفوذ سياسي ، والصواب : سياسيًا .

- كان الأوليغاركات مستقرون ومتعاونون ، والصواب : مستقرين
ومتعاونين .

- تورط عددًا من أفراد أسرته ، والصواب : عدد .

- يتفاقم بشكل مضطرب ، والصواب : مطرد .

- انخرط فلان وعائلته وعملاءه من السياسيين في عدد كبير من
العمليات غير المشروعة ، والصواب : وعملاؤه .

- قد يكونوا ، والصواب : يكونون .

- من خلال تلقيها فرص تفضيلية ، والصواب : فرصًا .

- كل حالة منها على حدا ، والصواب : حدة .

* * *

الإفلاس الاحتياالي

كثيرًا ما نسمع اليوم عن إفلاس الشركات في ظروف الأزمة الاقتصادية العالمية ، أو إفلاس الأفراد الذين جمعوا الأموال من الناس في هذا البلد أو ذاك ، ثم أفلسوا . فما هو الإفلاس ؟ وهل هناك إفلاس احتياالي متعمد ؟

رجعت إلى عدة كتب قانونية في الإفلاس ، وهي متشابهة ، ولكني اعتمدت بصورة خاصة على كتاب إلياس ناصيف : الكامل في قانون التجارة ، الجزء الرابع . أما ما تعلق بالشريعة الإسلامية فهو غير منقول عن الكتب القانونية ، بل عن الكتب الفقهية .

الإفلاس

توقف التاجر عن دفع الديون التي عليه في استحقاقاتها (الديون الحالة) . وعرفه فقهاء الشريعة الإسلامية بأنه زيادة ديون الشخص على أمواله (غلبة الدين على المال) .

الصلح الواقى من الإفلاس

هو طلب يقدمه تاجر مدين مشرف على الإفلاس ، يقدمه إلى القاضي لأجل الصلح مع دائنيه ومنع انهيار مشروعه التجاري . فهذا الصلح يهدف إلى تحقيق مصلحة التاجر المدين ، ومصلحة الدائنين ، ومصلحة المجتمع .

التأجيل إلى ميسرة

قال تعالى : ﴿ وَإِنْ كَانَتْ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ وَأَنْ تَصَدَّقُوا خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة : ٢٨٠] . وفي قراءة : ﴿ وَإِنْ كَانَ ذَا عُسْرَةٍ ﴾ ، ﴿ وَأَنْ تَصَدَّقُوا ﴾ . وهذا يعني إعادة جدولة الديون ، أو التنازل عنها بعضها أو كلها .

مصرف الغارمين

وهو المصرف السادس من مصارف الزكاة ، والغارمون هم المدينون ، ومصرف الغارمين يسمح بإعانة المدينين الشرفاء ، لحمايتهم من الإفلاس الذي قد يجزّ سلسلة من الإفلاسات المتتالية في المجتمع .

طلب إعلان الإفلاس

يقدمه التاجر المدين أو دائنوه إلى القاضي .

طلب إعلان إفلاس التاجر بعد وفاته

وذلك عندما يكون للورثة مصلحة في إعلان إفلاس مورثهم ، من أجل إبطال تصرفاته المبنية على الغش ، والضارة بحقوقهم ، أو من أجل الحصول على الصلح ، رغبة في التخلص من سداد بعض الديون .

التوقف عن الدفع

هو عجز التاجر ، أو امتناعه ، عن دفع الديون التي عليه في مواعيد استحقاقها . وهو يقع نتيجة الإعسار ، أو عدم التمكن من الدفع عملياً ، كما لو كانت له عقارات يصعب عليه تنضيضها ، أي : تسيلها ، أي : بيعها وتحويلها إلى نقود ، أو كما لو كانت له ذمم مدينة لا يستطيع تحصيلها ، لوفاء ذممه الدائنة .

فترة الريبة

- إبطال تصرفات المدين في فترة الريبة ، وهي الفترة بين تاريخ التوقف عن الدفع وتاريخ صدور حكم الإفلاس .

- قد يسارع المدين في هذه الفترة إلى إيفاء بعض الديون ، ولو قبل الاستحقاق ، أو إلى إنشاء ضمانات لأصحاب هذه الديون . وقد يخفي أمواله ، أو يهب أقاربه أو أصدقاءه هبات صورية ، أو يبيع أمواله بيعاً صورياً . وقد يلجأ إلى التبذير ، أو المضاربة والمقامرة . كل ذلك ؛ لأنه يعلم أن أمواله لن تستقر في يديه ، بل في أيدي الغير ، في أيدي الدائنين .

آثار الإفلاس

- بالنسبة للمدين : تقييد حريته (الحجر بالتعبير الفقهي ، أو غلّ اليد بالتعبير القانوني) ، إشهار الإفلاس ، تقديم معونة تتعلق بحاجاته الأساسية (حوائجه الأصلية) له ولأفراد عائلته ، إسقاط حقوقه السياسية والمهنية .

- بالنسبة للدائنين : سقوط آجال الديون ، وقف سريان الفوائد .

الدائنون أصحاب الامتياز

- امتيازات الخزينة العامة .
- امتيازات الأجور المستحقة .
- امتيازات النفقة لأقارب المفلس الذين تقع عليه نفقتهم .
- امتيازات الدائنين المرتهنين .

إجراءات الإفلاس

- تعيين وكيل التفليسة .
- تحديد أموال المفلس : الجرد .
- إقفال الدفاتر وإعداد الميزانية .
- تحصيل الذمم المدينة .
- بيع العقارات والمنقولات (في الشريعة هناك ترتيب : البدء ببيع الرهون ، ثم ما يسرع إليه الفساد ، ثم الحيوانات ؛ لأنها معرضة للتلف ومحتاجة إلى مؤنة ، ولا تباع العقارات إلا أخيرًا) .
- حصر الذمم الدائنة .
- توزيع النقود المحصلة على الدائنين ، حسب دين كل منهم (قسمة غرماء ، حسب عبارة الفقه الإسلامي) .

أنواع الإفلاس

- الإفلاس العادي .
- الإفلاس التقصيري .
- الإفلاس الاحتيالي .

الإفلاس الاحتيالي

- إخفاء الدفاتر : أو تمزيقها أو حرقها أو التلاعب فيها بالمحو والشطب والتزوير ، كل ذلك بقصد إخفاء حقيقة الوضع المالي للمفلس .
- اختلاس المال أو تبديده أو إخفاؤه أو تهريبه ، أو هبته ، أو بيعه بضمن زهيد ، أو بضمن صوري .
- الادعاء بضمم دائنة غير صحيحة .

عقوبة الإفلاس الاحتياالي

- السجن مع الأشغال الشاقة ، لمدة ٣- ٧ سنوات ، في القانون اللبناني .
- استرداد الأموال المختلسة .
- المطالبة بالتعويض عن العطل والضرر .

الإفلاس التقصيري

- إنفاق مبالغ باهظة في عمليات القمار ، أو المضاربات الوهمية على النقود أو السلع .
- إنفاق مبالغ على شخصه أو أسرته زائدة على الحد .
- إيفاء أحد الدائنين للإضرار ببقية الدائنين .

عقوبة الإفلاس التقصيري

- السجن من شهر إلى سنة ، في القانون اللبناني .

ملاحظة

- يلاحظ وجود تداخل بين الإفلاس الاحتياالي والإفلاس التقصيري ، قد يؤدي إلى التلاعب بالحكم لأجل زيادة العقوبة أو تخفيفها .
- لم أجد في كتب الفقه الإسلامي مصطلح الإفلاس الاحتياالي والإفلاس التقصيري ، لكن مصطلح الإفلاس ومصطلح الإعسار موجودان ، وكذلك مفهوم التقصير والإهمال ، والتعدي والاحتيال .
- ويتحدث الفقهاء عن المدين المفلس الذي يخفي ماله عن الدائن . ومن هذا الباب قوله صلى الله عليه وسلم : « مطل الغني ظلم يحلّ عرضه وعقوبته » .

جرائم الإفلاس

- لا تقتصر على المفلس ، كما في حالة الإفلاس الاحتيالي والتقصيري ، بل تمتد إلى دائنيه وأقاربه وغيرهم .
- مثل : الاختلاس ، والإخفاء ، والديون الوهمية .
- عقوبة هذه الجرائم : مثل عقوبة الإفلاس الاحتيالي ، ما لم تتوافر أسباب مخففة .

رد الاعتبار

- يقوم الإفلاس على أساس فكرة معاقبة المدين الذي لا يفي بتعهداته تجاه دائنيه ، وكانت عقوبة الإفلاس في القديم قد وصلت إلى حد الاسترقاق بل الإعدام . وتنص بعض القوانين الحديثة على إعادة الاعتبار للمفلس بعد انقضاء ١٠ سنوات على إعلان إفلاسه ، ما لم يكن محكومًا عليه بالإفلاس الاحتيالي أو التقصيري .
- وحتى في حالة الإفلاس الاحتيالي أو التقصيري يمكن رد الاعتبار بعد قضاء فترة السجن ، وردّ الديون إلى الدائنين ، أو تنازل الدائنين عنها .

رد الاعتبار للمفلس بعد وفاته

- وهذا له أثر أدبي بالنسبة لورثة المفلس وأقاربه وأصدقائه . ويمكن أن يطلب رد الاعتبار كل من له مصلحة فيه .

مدى صلاحية قوانين الإفلاس

- يقول د . وجيه ناظر المدير العام لوزارة العدل في لبنان ، في تقديمه لكتاب إلياس ناصيف ، بعد أن أثنى على الكاتب والكتاب : حبذا لو

أعطانا المؤلف بالنتيجة رأيه في مدى نجاح هذا النظام ، وهل يجب التفكير في تغييره ، أم يكتفى فقط بتطويره بشكل يمنع على التاجر المشرف على الإفلاس تهريب أمواله ، أو إخفاء وضعه المالي السيئ عن التجار والمحاكم . فمعظم التفليسات التي حصلت في لبنان لم تعط بعد التصفية أكثر من ١٠ ٪ أو ١٥ ٪ من ديون الدائنين ، إلا ما ندر .

كما أن الإفلاس بعد أن كان عارًا على المفلس ، أصبح وكأنه صار أمرًا طبيعيًا بالنسبة إليه ، بل قد يعتمد أكثر المفلسين إلى السعي وراء الإفلاس لهضم حقوق الدائنين ، أو للتخلص من الديون المتوجبة عليه . وقد يكون ذلك ناتجًا عن سوء تطبيق قواعد نظام الإفلاس ، أو عن نقص في هذا النظام ، يمكن التجار من النفاذ منها لتعطيل الغاية المرجوة منه .

وهناك بعض ملفات الإفلاس لا تزال مفتوحة في المحاكم منذ أكثر من ٣٠ سنة ، إذ توفي المفلسون والدائنون ، وضاعت حقوق الدائنين الأحياء ، أو أصبحت على الأقل في حكم الضائعة ، بعد أن هبطت القوة الشرائية للنقد ، حتى أصبح الدائن غير راغب في متابعة أعمال التفليسة ! ونحن نرى في الختام أن نظام الإفلاس قد صار مشرفًا على الإفلاس !

هذا الموضوع يصلح رسالة ماجستير أو دكتوراه

لاسيما في ظروف الأزمة الاقتصادية العالمية الحالية ، وحالة شركات توظيف الأموال ، أو تجار توظيف الأموال . ويمكن التساؤل عن النظم القانونية الوضعية : هل القانون والقضاء والمحاماة ، في أوضاعها الحالية ، تخدم التجار المجرمين (العصابات والمافيات المحلية والعالمية) أم التجار الشرفاء ؟ من يضع القوانين واللوائح ؟ هل توضع هذه القوانين واللوائح لخدمة الناس أم لخدمة الشركات الاحتكارية وتجار الفساد والاحتيال والتلاعب ؟ هل يعاقبون هؤلاء المحتالون ، أم يفلتون

من العقاب من الأصل ، أو بعد فترة قصيرة ، ليلتحقوا بالأموال التي سرقوها وهربوها ؟ هل يتم هروبهم أو تهريبهم بالتواطؤ مع ذوي النفوذ ، في مقابل حصة من الغنيمة ؟

لاشك أن هذه النظم : القانون ، والقضاء ، والمحاماة ، بحاجة إلى إصلاح سريع ، لتحقيق العدالة والنزاهة والكفاءة والسرعة وخفض التكلفة ومحاربة الرشوة والفساد وتمطيط الإجراءات ، حتى لا يفلت الجاني ، ويميل المجني عليه . فهي صالحة في الغرب الرأسمالي ، وانتقلت إلينا كما هي لتحقيق مآرب الغرب . فالجرائم عندنا مقتبسة ، والمحاكم مقتبسة . وللأسف هناك حالات بسيطة غير معقدة وظاهرة غير غامضة ، تحال إلى القضاء ، الذي يتأخر في الحكم إلى حد تنفير أصحاب الحقوق ، وهضم حقوقهم ، والنفور من القضاء والقضاة والمحامين ، حتى صاروا يتساءلون : هل تنتقل القضايا من القصور (قصور العدل) إلى القبور ؟ هل كان القضاء البدائي أحسن حالاً من هذا القضاء الفخم والمعقد ؟

* * *

الاحتيال المالي

هذا كتاب للدكتور عدنان عابدين ، وهو سوري مولود في دمشق ، ولعله يحمل الجنسية الأمريكية ، وهو أستاذ المحاسبة في جامعة كاليفورنيا في لوس أنجلوس ، ومحاسب قانوني ، وخبير في المحاسبة وإدارة الأعمال لعدة شركات . حصل على شهادة الثانوية التجارية من دمشق ، والبكالوريوس في المحاسبة وإدارة الأعمال ، والماجستير في المحاسبة وإدارة الأعمال من جامعة جنوب ولاية المسيسيبي ، والدكتوراه في المحاسبة من هذه الجامعة . عمل مدرسًا في جامعة الملك فهد للبترول والمعادن في الظهران بالمملكة العربية السعودية . لم يتيسر لي معرفة تاريخ ميلاده ولا تواريخ سائر الوقائع المذكورة في هذه السيرة المختصرة . له العديد من البحوث والكتب ، من كتبه :

- معجم المصطلحات المحاسبية والمالية (إنكليزي عربي) ، مكتبة لبنان ، بيروت ، ١٩٨١م ، ٢٢٦ صفحة + مسرد عربي إنكليزي ٤٠ صفحة .

- محاسبة الرواتب والأجور في المملكة العربية السعودية ، بالاشتراك مع جون مريدث ، الدار السعودية ، جدة ، ١٩٨٦م .

- الاحتيال المالي : أسبابه وطرق اكتشافه وسبل منعه ، مكتبة لبنان ، ٢٠٠٨م ، ٢٤٠ صفحة .

يتألف الكتاب الأخير من الفصول التالية :

- الفصل الأول : الاحتيال المالي ، ملابساته وأنواعه .

- الفصل الثاني : صفات المحتالين وأسباب الاحتيال .
- الفصل الثالث : منع الاحتيال المالي .
- الفصل الرابع : الكشف عن عمليات الاحتيال .
- الفصل الخامس : الطرق الحديثة في محاربة الاحتيال المالي .
- الفصل السادس : التحقيق في جرائم السرقة والتكتم والإخفاء .
- الفصل السابع : طرق التحقيق في عمليات الاحتيال .
- الفصل الثامن : طرق جمع المعلومات عن تحويل أموال الاحتيالات .

سأعرض الكتاب تحت الفقرات التالية :

أهمية الموضوع

يعدّ موضوع الاحتيال المالي من الموضوعات المهمة والشيقة في إدارة الأعمال والمحاسبة والتدقيق والتفتيش والرقابة ؛ لأنه يعتمد على الخبرة العلمية والعملية في مجالات عديدة ، مثل المحاسبة والمالية وإدارة الأعمال وعلم النفس والمنطق والقانون ، وفن التحري والتحقيق في عمليات الاحتيال ، وعلم الكشف عن الجريمة ، وإحالة المحتالين إلى العدالة .

متى بدأ اهتمام المؤلف بالموضوع ؟

كان هذا أواخر عام ٢٠٠١م ، عندما قامت إحدى موظفات شركة إنرون ، أكبر شركة طاقة في حقل الغاز والكهرباء ، وسابع أكبر شركة أمريكية ، قامت هذه الموظفة بتحذير مفاجئ مفاده أن هناك اشتباهاً في وجود ممارسات احتيال في إدارة الشركة ، وعلى أعلى المستويات .

وكانت النتيجة إفلاس هذه الشركة ، الذي أدى بدوره إلى إفلاس شركة آرثر أندرسن ، إحدى أكبر شركات تدقيق الحسابات ؛ لأنها كانت متواطئة مع إنرون .

اقترح تدريس مادة الاحتيال المالي

اقترح المؤلف على قسم المحاسبة ، في كلية الاقتصاد والإدارة بجامعة ولاية كاليفورنيا ، إدخال مادة الاحتيال المالي في منهاج القسم ، ضمن متطلبات البكالوريوس والماجستير . واستجاب القسم لاقترح المؤلف ، بأن أصبحت هذه المادة مادة اختيارية في هذا المنهاج ، ولاقت إقبالا من الطلبة .

أمثلة على الاحتيالات

- احتيالات المديرين الذين يبالغون في أرباح الشركات للحصول على مكافآت أكبر ، أو يختلسون رواتب موظفين وهميين .
- احتيالات مأموري المشتريات الذين يأخذون الرشاوى والعمولات من الباعة .
- احتيالات البائعين الذين يقدمون مستندات كاذبة لزيادة الأسعار على المشترين .
- احتيالات الزبائن في سرقة السلع ، أو تغيير أسعارها بتغيير ملصقاتها السعرية .
- اختلاسات الموظفين الذين يريدون العيش فوق مستواهم في الثروة والدخل .
- احتيالات المكلفين الذين يتهربون من دفع الضرائب كلياً أو جزئياً .

- احتيالات المفلسين الذين ينقلون أصولهم (موجوداتهم) أو يخفونها .

- احتيالات المشتَمين Sniffers الذين يسرقون كلمة السر وينفذون احتيالات إلكترونية .

- احتيالات المتظاهرين بالحاجة ، الذين يطلبون تحويلات سريعة عن طريق شركة ويسترن يونيون بصفة قروض ثم يختفون .

- احتيالات السياسيين مع عوائلهم وأقاربهم الذين يستغلون نفوذهم (برنامج النفط في مقابل الغذاء بالعراق ، وبرنامج إعادة الإعمار ، وما شابه ذلك في هذا البلد أو ذاك) .

- احتيالات المستثمرين : مكيدة بونزي .

خطة بونزي Ponzi Scheme

هي مثال مشهور في مجال خديعة الاستثمار . فقد اختفى تشارلز بونزي فجأة من بلدته في مدينة بوسطن ، بعد أن ترك خبراً بأنه ذهب إلى جنوب أفريقيا . وبعد عدة سنوات ، عاد إلى بوسطن ، وهو يلبس ثياباً أنيقة وقبعة عالية ، ويحمل عصاً ذهبية ، ويدخن لفافة تبغ كبيرة ، وعليه علائم ثراء فاحش . وادعى أن لديه استثمارات ضخمة ورابحة جداً في مناجم الذهب والألماس في جنوب أفريقيا . وبدأت أخبار بونزي تنتشر في بوسطن ، وشرع أصدقاؤه والمقربون منه يتمنون أن يساعدهم على الاستثمار في هذه المناجم . وأخذ يجمع مبالغ صغيرة ، كان يدفع لأصحابها أرباحاً كبيرة ، بدعوى نجاح استثماراته . وكان يدفع أرباح المستثمرين الجدد من أموال المستثمرين القدامى . وطالت مدة بقائه في بوسطن إلى أن جمع مبالغ كبيرة ، ثم عاد فاختفى فجأة ، وشاع نبأ عودته إلى جنوب أفريقيا . وطالت مدة اختفائه هو والأموال التي حملها معه !

تعليق

ربما فعل بونزي ما فعله قارون . قال تعالى : ﴿ فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ ۖ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَلِيتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴾ [القصص : ٧٩] .

طرق لمنع الاحتيال

- بيئة عمل يسودها الصدق والاستقامة والأمانة .
- عدم السماح بالجمع بين أعمال تتضارب فيها المصالح .
- لائحة آداب المهنة وأخلاقيات العمل : رد الهدايا ، أو تسليمها للشركة . منع إفشاء الأسرار .
- برامج رقابة .
- إعاقاة التواطؤ : تقصير مدة مأمور المشتريات بنقله إلى وظائف أخرى .
- مخبرون سريون يطلقون صفارة الإنذار .
- العقوبة : السجن ، الغرامة ، الاسترداد ، الطرد .

علامات الاحتيال

- تزوير المستندات .
- تغيير الخط .
- نقص الصندوق .
- نقص المخزون .
- قيود محاسبية مختلقة .
- إيرادات ومصروفات مزورة .

- السرف والترف في الإنفاق الشخصي والعائلي : ارتياد الملاهي ودور القمار ، إدمان على الخمر والمخدرات ، أثاث فاخر ، سيارات وطائرات ، لوحات فنية باهظة الثمن ، مجوهرات ، أراض ، عقارات ، مزارع .

طرق لكشف الاحتيال

- تحليل البيانات المالية : نسب مالية للسيولة والربحية ، مقارنات مع سنوات سابقة .

- فتح قنوات للشكوى والتبليغ عن الفساد : إذا كانت أبواب الزعماء مغلقة ، وليس هناك بريد إلكتروني لرئيس الدولة متاح للناس ، ولا صحافة ، ولا تلفزيون ، ولا إذاعة ، ولا قضاء ، ولا محافظة ، ولا بلدية ، ولا رقابة ، وكله فساد بفساد ، فكيف يمكن حل الفساد ؟

طرق التحقيق

- اختبارات الصدق والأمانة والاستقامة .
- دراسة الخطوط .
- آلات كشف الكذب : قياس سرعة نبضات القلب ، ضغط الدم ، التوتر ، التعرق .
- فن طرح الأسئلة .
- فن ترتيب الأسئلة .

مزايا الكتاب

- أهمية الموضوع .
- قلة الكتب العربية التي تعالج مثل هذه المسائل .

ما يؤخذ على الكتاب

- ارتفاع سعره (٦٢ ريالاً سعودياً ، تاريخ الشراء ٢٦/٣/٢٠٠٩ م) .

- الإهداء : إلى جميع الشرفاء

إلى جميع محبي الصدق والأمانة والاستقامة ؛

إلى محاربي الاحتيال والساعين لمنعه ؛

إلى من يحب وطنه ويعشق أرضه الطيبة ؛

أقدم هذا البحث المتواضع ؛

إلى المرحوم والدي الذي قال لي قبل وفاته بأيام :

« ياعدنان إنني لا أذكر يوماً دخل علي فيه قرش واحد بالحرام »

الجملة الأخيرة فيها تزكية للنفس والأب . كما أن كلام والده قد يكون فيه مبالغة ، ويحتاج إلى تحقق . فالحرام في أيامنا من لم يأكله قد يصيبه غباره أو بخاره . ولو جاءت تلك العبارة في كتاب مذكرات لربما كانت مقبولة .

- قلة المراجع ، فلم يذكر إلا مرجعاً أجنبياً واحداً ، هو « تحري الاحتيال ومنعه » ، تأليف دبل ستيفن البرتش وتشاد البرتش ، نشر ساوث وسترن ، ٢٠٠٤ م .

- كثرة الأخطاء اللغوية ، أذكر منها :

- ريثما يعدلوا ، والصواب : يعدلون .

- تفتح أبواباً وفرصاً وإغراءاتاً ، والصواب : إغراءاتٍ .

- مارسها مديري المبيعات ، والصواب : مديرو .

- الغير متوقع تحصيلها ، والصواب : غير المتوقع .

- شراء مزرعة أو بيتًا أكبر ، والصواب : بيت .
- عبارة عن سيف ذو حدين ، والصواب : ذي .
- تعطي نتائجًا ، والصواب : نتائج .
- لكي يختبأ ، والصواب : يختبئ .
- قام بدفعه لشخص أو أشخاصًا آخرين ، والصواب : أشخاص .
- الناكرون ، والصواب : المنكرون .
- دعى مدقق الحسابات ، والصواب : دعا .
- يمكن أن يستجيبوا إراديًا أو غير إراديًا ، والصواب : استجابة إرادية أو غير إرادية .
- يحجب الرؤيا عنه ، والصواب : الرؤية .
- أعطي الشخصَ المحقق معه وقتًا ، والصواب : أعط .
- يغلق عيناه ، والصواب : عينيه .
- وغير ذلك .

تعليق أخير للمراجع

- إذا كان رؤساء الدول غير متواطئين وجادين في محاربة الفساد وراغبين وقادرين ، ولهم مصلحة في ذلك ، فليبدؤوا بأنفسهم وزوجاتهم وأقاربهم وبمن حولهم ، وليجعلوا قدوتهم عمر بن عبد العزيز خامس الخلفاء الراشدين ، عمر بن عبد العزيز الذي بدأ بنفسه وثنى بزوجه . وسلسلة الخلفاء الراشدين مفتوحة ، فيمكن أن يكون هناك خليفة سادس وسابع . . . ، كما أن سلسلة الخلفاء الحمقى والفاستدين مفتوحة ، فالقضاء على الفساد في الرأس يمنع الفساد فيما دونه .

- كيف يمكن القضاء على الفساد ، وأبواب السلاطين موصدة ، لا يمكن الوصول إليهم حتى عن طريق البريد الإلكتروني ، بل إن الوصول إلى الرئيس الأمريكي والبيت الأبيض في أكبر دولة أسهل من الوصول إليهم وأيسر وأجدي ؟

- من المستحيل القضاء على الفساد بمجرد الشعارات والادعاءات ؛ التي يرفعها ويرددها الرؤساء والملوك والحكومات للاستهلاك المحلي .
- كيف يمكن أن نصدق ما يقوله هؤلاء الرؤساء وإليهم تعود الحصص الكبرى من الفساد ؟

- هل يمكن أن يصدق أحد أن رئيس الدولة يرى الفساد البعيد الصغير ولا يرى الفساد القريب الكبير ؟ فالفساد الصغير مرتبط بشبكات من الفساد الكبير تبدأ به وتعود إليه . فلو منعنا الفساد الكبير لم يجرؤ على الفساد صغير . ولو غضضنا النظر عن الفساد الكبير لتجرأ الكل على الفساد . فالناس على دين ملوكهم . والسلطان سوق ، تروج فيه السلع التي يريدها السلطان .
- فساد المدير يعني تدمير شركة ، وفساد رئيس الدولة يعني تدمير البلد بكامله !

- هل إدارة منشأة أو رئاسة دولة هي فرصة للإصلاح ، أم فرصة للنهب ومن بعدي الطوفان ؟

- لاشك أن السلطة والثروة هما مظنة الطغيان والفساد ، والطغيان والفساد هما في القمة أخطر مما دونها بكثير . فالشخص الشريف إذا وصل إلى السلطة أو الثروة ، فإنه سيكون معرضاً للانحراف والاعوجاج والتخلي عن الشرف شيئاً فشيئاً . وهنا نستحضر قول من قال : أطيعوني ما أطعت الله ورسوله ، فإذا عصيت فلا طاعة لي عليكم ؛ إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق . وهل الفساد إلا المعاصي والكبائر

والمحرمات ؟ لحسن الحظ أن هذه المفاسد هي قاسم مشترك بين جميع الأديان والنظم .

- صور الفساد أكثر من أن تحصى ، وما ذكرناه إن هو إلا مجرد أمثلة ، والفساد يجرّ فسادًا ، كما أن الصلاح يجر صلاحًا .

- صنفان من الناس إذا صلحا صلح الناس كلهم : الأمراء والعلماء ، وإذا فسدا فسد الناس كلهم !

- أقرب طريق إلى التقدم السريع (سنون لا قرون) هو النجاح في محاربة الفساد .

- أهم ما نتعلمه من دراسة الفساد هو أن الدولة تستطيع أن تنهض ، خلال سنوات قليلة ، إذا ما حاربت الفساد بصورة جدية . فلو أمضى رئيس الدولة سنة واحدة من ولايته ، وناضل في محاربة الفساد ، لظهرت علائم ذلك على البلد منذ السنة الأولى .

- إن القضاء على الفساد هو أهم دعائم البنية التحتية أو الأساسية للبلد ، فمن يبني على فساد هو كمن يبني على غير أساس ، أو كمن يبني على أساس منهار !

- دعوا المناصب والوظائف والأعمال لأكثر الناس مهارة وأمانة ، ولا تدعوها لأكثرهم عجزًا وفسادًا .

- الفساد عدو داخلي لا تقل محاربته أهمية عن محاربة العدو الخارجي .

- سمى بعض العلماء الحكومة الفاسدة حكومة لصوص ، أو حكومة قطاع طرق .

- الفساد ضياع وانهيار ودمار ، والصلاح قوة ونهضة وازدهار . فيا قوم اختاروا !

* * *

فضائح شركة إنرون

« فضائح شركة إنرون : الجشع ، والغرور ، ونهاية شركة إنرون »
الكلمات الثلاثة الأولى ترجمت بتصرف ، والعنوان الأصلي للكتاب :
Pipe Dreams: Greed, Ego and the Death of Enron تأليف روبرت
برايس Robert Bryce ، ترجمة مروان أبو جيب ، نشر شركة الحوار
الثقافي ، بيروت ، ومكتبة العبيكان ، الرياض ، ٢٠٠٦م ، ٤٣٨ صفحة
+ ٨ صفحات صور ، والأصل الأمريكي ٢٠٠٢م .
يتألف الكتاب من ٥١ فصلاً ، أذكر منها :

- المحاسبة وفق الأسعار الافتراضية في السوق المستقبلية .
- حمّى شراء المسؤولين .
- واحة من الأفاعي السامة .
- حماقات جنسية .
- شراء ضمائر مجلس الإدارة .
- النساء المتعريات .
- الأسهم المجانية .
- شعوذة المشتقات .
- المدير المالي .
- العيش الرغيد .
- الإفلاس .

وهاك ملخصًا للكتاب تحت الفقرات التالية :

مقدمة المؤلف

- « هذا الكتاب متعة ، ولكنه يفطر القلب ألماً » .
- يرجع سقوط الشركة إلى أن قادتها الرئيسيين فقدوا مسلكهم الأخلاقي .
- لماذا دبّ الفساد في أوصال شركة إنرون ؟
- عزمت على أن يكون الحياد طابع هذا الكتاب ؛ لأن الأوغاد لم يتحدثوا إلي ولا إلى غيري ؛ ولأنه لا شأن لي بالتعامل مع أطبائهم أو محاميهم الذين يلفقون القصص عنهم .
- قابلت من أجل هذا الكتاب ما يزيد على ٢٠٠ شخص ، وقابلت بعضهم عدة مرات .
- جمعت أكثر من ١٨٥٠ وثيقة مصورة .
- راجعت حوالي ٢٤ كتابًا ، وعشرات النشرات الإخبارية والتقارير .
- اعتمدت على اثنين من المحاسبين العموميين المجازين ، اطلعا على دفاتر شركة إنرون .
- أخي وولي برايس Wally Bryce ، وهو محاسب عمومي مجاز ، طرحت عليه أكثر من ٣٧٦١ سؤالاً محاسبيًا .
- أشكر مركز دراسات المشتقات .
- أشكر لو ديبوز Lou Dubouse الذي شجعني على كتابة الكتاب ، واقتراح علي عنوانه ، وصحح لي ما كتبت .
- أشكر بوب إدلر Bob Edler المحرر الآخر الدؤوب ؛ الذي عانى من سوء كتابتي .

تقديم السيدة مولي إيفنز

- روبرت برايس أفضل محرر بين جيله في استقصاء الحوادث .
- لماذا ؟ هل هو الجشع ؟ الغباء ؟ ترك الحبل على الغارب ؟ الفساد ؟
- يبدأ تفسخ السمكة من رأسها .
- النظام السياسي الأمريكي متواطئ إلى درجة الفجور ، كما يقال في تكساس .
- فساد السياسة الأمريكية .
- إنرون تساهم في تمويل الحملة الانتخابية لبوش ، وشراء الأصوات .
- كبار المديرين ينهبون الشركة .
- بعض الأبطال قادوا السفينة بنزاهة .
- بعض المواطنين المتفردين يدقون ناقوس الخطر ضد العابثين .
- قصة رائعة ومرعبة .
- علينا تقويم النظام .

شركة إنرون

- أول شركة لخطوط أنابيب نقل الغاز عبر القارة .
- سابع أكبر الشركات في الولايات المتحدة الأمريكية .
- ناطحة سحاب تقع في خمسين دورًا .
- حاولت الاندماج قبيل إفلاسها فلم تفلح .
- أفلست بعد ١٥ سنة من إنشائها : ١٩٨٥-٢٠٠١ م .

- أعلى سعر للسهم في ١٩٩٩ و ٢٠٠٠م : ٩٠ دولارًا ، وأدنى سعر وصل إليه في ٣ كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠١م هو : ٤٠ سنتًا بعد صدور إعلان وكالات الملاة بهبوط درجة دينها إلى حد الهلاك .

- نقص السيولة وتعاضم الديون الطويلة الأجل والقصيرة وأعباء الفوائد .

- الترف الإداري : استخدام طائرات الشركة ، تزيين المكاتب ، وزخرفتها باللوحات ، والتحف الفنية ، والسجاجيد ، والستائر الباهظة التكاليف ، نفقات السفر ، البذخ في الولائم والمطاعم والنزهات والحفلات ، عقد الاجتماعات في أكثر المنتجعات ترفاً . كرة أرضية زجاجية في ردهة المبنى الجديد كلفت الشركة مليوني دولار .

- السرقات والاختلاسات والعمولات .

- التستر على الخسائر والديون .

- الأسهم المجانية للمديرين ، واستخدامها لصالحهم على حساب الجمهور .

- الرواتب والتعويضات الخيالية للمديرين ، وما أدى إليه ذلك من غرور وكبر وعجرفة وانغماس في الرذائل : كل رذيلة تجرّ صاحبها إلى رذيلة أخرى : رذائل مركبة !

- الحيل المالية والمحاسبية : المحاسبة وفق الأسعار الافتراضية في السوق المستقبلية ، الصفقات التي لا تظهر في الميزانية ، مجموعتان من الدفاتر .

- من أسباب الإفلاس أيضاً التعامل بالأوراق المالية والمشتقات الشديدة المخاطر والمقامرات والمضاربات .

- من أسباب الإفلاس كذلك التكاليف الباهظة لحرب بوش على صدام .

- استغلال المرأة الموظفة جمالها وفتنتها لأغراض خبيثة .

- العلاقات الغرامية والدعارة .

- وقع الإفلاس في وقت عصيب بعد يومين من هجمات ١١ سبتمبر ٢٠٠١ م .

- إفلاس إنرون هو الأكبر في التاريخ الأمريكي بعد شركة وورلد كوم .

- انهيار إنرون هو من أكبر الفضائح السياسية في التاريخ الأمريكي .

- أكبر فضيحة نزلت في وول ستريت .

- أسوأ مثال في تاريخ الشركات الأمريكية على قرصنة المديرين الذين جمعوا ثروات لا تصدق .

- شركة المحاسبة آرثر أندرسن تواطأت مع إنرون في أكبر فضيحة عرفتها مهنة المحاسبة ، ثاني أقدم المهن في العالم . واتُّهمت بعرقلة سير العدالة في التحقيقات الجارية مع إنرون .

طائرات الشركة

كان أسطول الشركة في ربيع ٢٠٠١ م يضم : ست نفاثات ، اثنتان منها فالكون Falcon ٩٠٠ ، وثلاث هوكر Hawker ٨٠٠ ، وواحدة فالكون ٥٠ . تكلف ساعة الطيران الواحدة في فالكون ٩٠٠ حوالي ٥٢٠٠ دولار ، وثمان الطائرة الجديدة منها ٣٠ مليون دولار ، والهوكر ١٠ ملايين دولار . وهذه الطائرات تتسع لعدد محدود من الركاب لا يزيد على ١٦ راكبًا .

أكبر من أن تفشل

ساد الاعتقاد بأن شركة إنرون هي أكبر من أن تفشل ، ولا يمكن أن تلحق الخسارة بها .

الهندسة المالية

حاول المدير أن يزيد في إيرادات الشركة وتدفقاتها النقدية باللجوء إلى الديون بدل القروض ، وعدم إظهار الديون في ميزانية الشركة ، واستعمال غطاء الكيانات ذات الأغراض الخاصة (الحيل) SPV ، كي لا يضعف تقدير ملاءتها المالية . وأصبحت هذه الكيانات طريقة سريعة وقذرة لاصطناع إيرادات وتدفقات نقدية سريعة . وسعى المدير المالي للقيام بذلك عن طريق الهندسة المالية ، والحيل المحاسبية .

طريقة المحاسبة وفق الأسعار الافتراضية في السوق المستقبلية

ربما تعني هذه الطريقة ، التي تكرر ذكرها كثيرًا في الكتاب ، افتراض أسعار مستقبلية عالية ، واستباق تسجيل إيرادات الشركة من مبيعاتها القادمة ، لأجل إظهار إيرادات وتدفقات نقدية في الشركة ، للتمويه على عجز السيولة لديها ، وتأخير إعلان إفلاسها .

المشتقات

بدأت الشركة بشراء وبيع مشتقات مبنية على أسهمها ، وهذه المشتقات كثيرة التقلبات وشديدة المخاطر من الناحية الاستثمارية ، بل هي المقامرة بعينها .

الزهور

أنفق أحد الأقسام في الشركة حوالي مليوني دولار على الزهور عام ١٩٩٧م : أمينات السرّ يرسلن الزهور إلى رؤسائهن ، والرؤساء يرسلون الزهور إلى أمينات سرّهم . وبعض أمينات السرّ يرسلن الزهور إلى أصدقائهن ليحصلن على المزهريات الجميلة التي توضع فيها الزهور . وكانت الشركة أكبر زبون لدى خمسة محلات لبيع الزهور في هيوستن .

الصمت

- لم يتابع أحد في شركة إنرون ما يفعله فيها المديرون .
- لم يجرؤ أحد على أن ينطق بكلمة . الغرور والغطرسة من طرف ، والخوف واللامبالاة من الطرف الآخر . غطرسة إنرون تكلفها اليوم غالبًا ، كحال الصندوق الذي كان تحت قيادة مجموعة من المغرورين المتاجرين ، المتعاليين بأنفسهم والحائزين على جائزة نوبل .

محاولات الاقتراض الكثيف للإنقاذ

لم تجد هذه المحاولات في استنقاذ إنرون من الإفلاس .

تسريح الموظفين

- آلاف الموظفين والعمال .
- أمامك نصف ساعة فقط لمغادرة المبنى .
- ٤٠٠٠ أُلقت بهم إنرون في الشارع .

باستطاعتي مهاتفة بوش كلما احتجت إليه

- حملة لجمع التبرعات : ١٠٠٠ دولار يضعها المتبرع في صحن

يطاف به في حفلات التبرع لصالح بوش ، وهو أكبر مبلغ مسموح به
لمرشحي الرئاسة .

- وضع أسطول طائرات الشركة تحت تصرف حملة بوش الانتخابية .

- قدمت الشركة ٣٠٠ ألف دولار للمساعدة على حفل تنصيبه .

- كان كل طرف يوصي بتعيين مسؤولين لدى الطرف الآخر .

- لم تتمكن سيدة عضو في مجلس الشيوخ من تحديد موعد مع بوش
للنظر في مشكلة الكهرباء في كاليفورنيا ؛ لأنها من الحزب الديمقراطي ؛
أو لأن الولاية صوتت لصالح آل غور في الانتخابات . ورفض البيت
الأبيض طلبها ، برسالة رسمية كتب فيها اسمها بصورة غير صحيحة .
لكن وقت البيت الأبيض كان يتسع كثيرًا لشركة إنرون !

- كان بوش المدافع عن إنرون في كاليفورنيا ، ومحصل فواتيرها في
الهند .

- قدموا لبوش في انتخابات منصب حاكم ولاية تكساس ١٩٩٣م أكثر
من ١٤٦ ألف دولار .

غرينسبان يرفض المال من إنرون

آلان غرينسبان رئيس بنك الاحتياط الاتحادى رفض قبول المال من
إنرون . اشترت إنرون أعضاء في البيت الأبيض ، وحكام ولايات
ومؤثرين في صنع القرار ، ووزراء وعدداً من الرؤساء ، ولكنها لم تستطع
أن تشتري زوج أنريا ميتشيل الحذر .

تقديم الكهرباء إلى الهند

- مشروع دابول .

- رفضت الهند المشروع ، على الرغم من محاولات بوش وتشيني لدعم إنرون في مواجهة الهند ، حتى أفلس إنرون ، ولم تفلح الجهود الأمريكية في إنقاذ استثمارات إنرون المعدومة في زحزحة الحكومة الهندية عن موقفها .

السلاح النووي

شدت الحكومة الأمريكية الخناق على الهند ففرضت عقوبات اقتصادية عام ١٩٩٨م عليها وعلى الباكستان ، في أعقاب قيام الدولتين بتجربة الأسلحة النووية .

شخصيات إنرون

في مطلع الكتاب ورد ذكر أسماء هذه الشخصيات ومناصبهم ومبيعات أسهمهم في شكل جدول .

شخصيات عربية ورد ذكرها

- الملك حسين .
- زايد بن سلطان آل نهيان رئيس الإمارات العربية المتحدة .
- الأمير خالد ولي العهد السعودي .
- الأمير بندر بن سلطان السفير السعودي في الولايات المتحدة .
- الأمير الوليد بن طلال .
- أحمد زكي يمانى وزير النفط السعودي .
- صدام حسين .
- ياسر عرفات .

شخصيات أجنبية ورد ذكرها

- كليبتون

- بوش .

- ديك تشيني .

- جيمس بيكر .

- كارلوس منعم .

- غورباتشوف .

لمن تقرر الأجراس ؟

هل تقرر الأجراس لصالح المديرين الفاسدين أم تقرر لصالح الجمهور من المساهمين الغافلين ؟

هل عوقب الفاسدون بما يستحقون ؟

أم حكمت المحكمة بعدم كفاية الأدلة ، ونجوا بثرواتهم الخيالية غير المشروعة ، ووقعت المصيبة على الجمهور والأمة ؟ هل كان المشتكى إليه أقل فسادًا من المشتكى عليه ؟

مزايا الكتاب

- الكتاب أنجزه صاحبه بسرعة ، مع كثرة الجهود التي بذلها في إعدادة ، وهو كتاب شيق غير ممل ، ومكتوب على الطريقة الغربية الشائعة الآن ، بطريقة كتابة الرواية (القصة الطويلة) ، بقلم كاتب غربي ينكر من مفسد النظام الليبرالي ، بوجهيه الاقتصادي والسياسي ، ما ننكره نحن المسلمين ، من القمار والمشتقات والعلاقات غير الشريفة

بين المرأة والرجل . كما ينكر التكبر والعجرفة ، والهيمنة والغرور ، والجشع والسرقة ، والاختلاس وسوء استعمال المال العام ، والإسراف في الإنفاق والديون ، وما إلى ذلك من مفاصد ، صرنا نشك معها في صلاحية النظام الرأسمالي ، والنظام الديمقراطي ، وصلاحية الشركات الاحتكارية الكبرى ، ونميل إلى الشركات المتوسطة والصغيرة .
- ومن المزايا الطبعة الأنيقة للكتاب .

ما يؤخذ على الكتاب

- بالرغم من أن الكاتب قد استعان ببعض المحاسبين لكي يشرحوا له بعض المصطلحات ، إلا أن هذه المصطلحات بقيت عنده غامضة بعض الشيء . ولعلي رأيته قد بالغ في عدد الأسئلة التي طرحها على أخيه ٣٧٦١ سؤالاً ، فلم أجد أثراً يدل على هذا العدد الكبير من الأسئلة .
- ومن المآخذ تأخر ترجمة الكتاب ، فهناك فاصل زمني قدره ٤ سنوات بين التأليف والترجمة .

كلمة للمراجع لا للمؤلف

إذا كان هؤلاء الخبراء والمديرون في بلدانهم هكذا ، حيث المؤسسات والقانون والديمقراطية ، والعلم والتقنية والمحاسبة ، والمساءلة والقضاء ، وشركات المراجعة والتدقيق والتصنيف ، ترى إذا أتى بمثلهم إلى بلداننا خبراء فماذا هم فاعلون ، حيث تغيب كل هذه الخصائص والخصال ؟ هل سنكتشف أنهم مجرد أوهام : لا علم ولا أخلاق !

الترجمة

الترجمة جيدة وواضحة ، ولكن لم أجد قائمة مصطلحات في آخر الكتاب ، وهناك بعض الأخطاء اللغوية القليلة ، منها :

- إحدى استعمالاته ، والصواب : أحد .
- إلى أن يكون للغاز قدمًا في السوق ، والصواب : قدم .
- ليس هذا عمل غير أخلاقي ، والصواب : عملاً .
- النمو المضطرد ، والصواب : المطرد . وهو خطأ متكرر .
- كلا الرجلان ، والصواب : كلا الرجلين .
- كانت عضوة ، والصواب : عضوًا .
- يقدمون أنفسهم لبعضهم البعض ، والصواب : يقدمون أنفسهم بعضهم لبعض . وهذا متكرر .
- كانا يحبّان بعضهما البعض ، والصواب : يحبّ أحدهما الآخر .
- أن تجد أب يركك ، والصواب : أبًا .
- يقال : أنها ساهمت ، والصواب : إنها .
- ثماني دولارات ، والصواب : ثمانية .
- قدر رئيس الاحتياطي الأمريكي أن استعمال المديرين ، والصواب : المديرين .
- توفر لها رؤيا ثابتة ، والصواب : رؤية .
- يتطلب رأسمال كبيرًا ، والصواب : رأس مال .
- كلا الشبكتين ، والصواب : كلتا .
- لكن الخيارات نفذت ، والصواب : نفذت . وهو متكرر .
- لكن تدخل إدارة بوش ملفتة للنظر ، والصواب : لافت . فهناك خطأ .
- في الأسبوع الذي تلى ، والصواب : تلا .

- شركتان أخريان ، والصواب : أخريان .

- الأصول والمطالب ، ولعل الأفضل : الأصول والخصوم ، أو الموجودات والمطلوبات أو المطالب . وهذا اصطلاح محاسبي .

- مطايا مالية ظهرت في ميزانية الشركة ، وتعبير مطايا غامض ، لاسيما إذا أريد به أن يكون مصطلحاً محاسبياً .

- خسرت ١٠٢ مليون لقاء إيرادات بلغت ١٦ مليوناً ، تعبير الخسارة يقابله تعبير الأرباح ، وتعبير الإيرادات يقابله تعبير المصروفات ، فهل المقصود فعل (أنفقت) بدل (خسرت) ؟ وهذا متكرر .

* * *

obeikandi.com

مذكرات آلان غرينسبان

« آلان غرينسبان : عصر الاضطراب : مغامرات في عالم جديد » The Age of Turbulence Adventures in a New World ، ترجمة أحمد محمود ، مراجعة سامر أبو هوش ، نشر كلمة ، أبوظبي ، ودار الشروق ، القاهرة ، ٢٠٠٨م ، ٦٢١ صفحة ، الأصل الأمريكي ٢٠٠٧م .

تعليق : سبق لدار الشروق أن نشرت لأحمد زويل : عصر العلم ، ٢٠٠٥م . فالعنوان المختار لسيرة زويل : عصر العلم ، والعنوان المختار لغرينسبان هو : عصر الاضطراب . ولو حدث ونشرت أنا مذكراتي لاخترت : عصر الحيل .

يتألف الكتاب من مقدمة و٢٥ فصلاً ، ١٢ فصلاً منها تتعلق بالسيرة الذاتية ، و١٣ فصلاً تتعلق بأفكار المؤلف .

آلان غرينسبان

آلان غرينسبان Alan Greenspan ولد عام ١٩٢٦م (أي عمره اليوم ٨٤ سنة) ، بدأ حياته عازف كلارينيت . حصل على البكالوريوس والماجستير والدكتوراه من جامعة نيويورك . أسس شركة للاستشارات الاقتصادية « تاونسند - غرينسبان » في عام ١٩٥٤م . وترأس مجلس المستشارين الاقتصاديين في عهد الرئيس الأمريكي فورد ١٩٧٤ - ١٩٧٧م . وكان أبرز مناصبه التي شغلها هو رئيس مجلس إدارة بنك الاحتياط الفيدرالي (البنك المركزي الأمريكي) منذ عهد الرئيس

ريغان ، لمدة تزيد على ١٨ عامًا ، في الفترة ١٩٨٧-٢٠٠٦ م ، وكان سلفه في هذا المنصب بول فولكر ، وخلفه برنانكي .

الشخصية

- حبي للأرقام قديم ، فعندما كنت صغيرًا كانت أمي توقفني أمام أقاربها وتقول لي : آلان ، $92+35 = كم$ ؟ ثم تنتقل إلى أرقام أكبر ، ثم تتحول من الجمع إلى الضرب ، وهكذا . وبالرغم من ذلك كله ، لم أكن واثقًا من نفسي ، ففي حين كانت أمي تستطيع أن تجعل من نفسها نجمة الحفل العائلي كنت أنا أزداد ميلًا إلى الانزواء .

- لم أكن في يوم من الأيام مستريحًا بالكامل لأن أعطى دور الشخص الذي يحدد السياسة . فمنذ سنوات حياتي المبكرة ، كنت أنظر إلى نفسي على أنني خبير يعمل من وراء الكواليس ، ومنفذ للأوامر وليس قائدًا . وقد تطلب الأمر حدوث أزمة سوق الأوراق المالية في عام ١٩٨٧ م ، كي أشعر بالراحة وأنا أأخذ قرارات سياسية مهمة . ولكنني لا أشعر حتى يومي هذا بالراحة عندما أكون في دائرة الضوء . فأنا لست منبسط الشخصية .

- أثناء فترة رئاستي لبنك الاحتياط حرصت على عدم الظهور في التلفزيون ، ونادرًا ما أجريت مقابلات مع الصحفيين .

- كنت في عيادة طبيب العظام ، فدخلت الممرضة لتقول : إن البيت الأبيض على الهاتف . واستغرق توصيل المكالمات بضع دقائق ؛ لأن موظفة الاستقبال ظنت الأمر مقلبًا . رفعت السماعة ، فقال لي رونالد ريغان : آلان ، أريدك الآن أن تكون رئيس مجلس إدارة بنك الاحتياط الفيدرالي . قلت له : يشرفني ذلك . وعندما عدت إلى قاعة الانتظار ، بدت الممرضة شديدة الاهتمام وسألتني : هل أنت على ما يرام ؟ يبدو أنك كمن تلقى خبرًا سيئًا !

الدكتوراه

- حصل عليها وهو على رأس عمله في رئاسة بنك الاحتياط الفيدرالي ،
أي : لم يكن يحمل شهادة الدكتوراه عندما تولى هذا المنصب .
- عنوان رسالته : أنماط الإنفاق والادخار للأسر المعيشية الأمريكية .

حزبه

طول حياتي جمهوري ، لكن لي أصدقاء على جانبي الممر السياسي . وكنت أظن أنني تفهمت امتعاض الحزب الديمقراطي عندما استولى جورج دبليو بوش على البيت الأبيض .

وصفة طبية

كنت أعمل ما بين ١٠ و ١٢ ساعة يوميًا . وأتبع روتينًا يبدأ بحمام ساخن في الفجر . وذلك بعد ألم أصاب ظهري عام ١٩٧١م ، وأوصاني طبيب العظام بالبقاء في الماء الساخن لمدة ساعة كل صباح . وشفني ظهري بالتدريج ، وصار الحمام بعد ذلك نشاطًا اختياريًا .

ما تعلمته من صديقتي

بقيت أنا وآين راند صديقتين حميمتين حتى وفاتها عام ١٩٨٢م . وأنا أدين لها بالفضل ، لما كان لها من تأثير كبير على حياتي . فقد كنت محدودًا من الناحية الفكرية إلى أن التقيت بها . وكان عملي كله يقوم على الأرقام ، ولم يكن لي أي توجه قيمي (. . .) . لقد وسّعت (راند) آفاقي إلى ما وراء نماذج علم الاقتصاد ، فبدأت أدرس كيف تتشكل المجتمعات ، وكيف تتصرف الثقافات (. . .) . لقد قدمتي إلى مجال واسع كنت حبست نفسي عنه .

معلمي الأول

كان معلمي الأول في بنك الاحتياط الفيدرالي رئيس قسم التمويل الدولي فيه : تيد ترومان (. . .) . وكان يشرف على تعليمي فيما يخص الاقتصاد الأمريكي ، بالإضافة إلى (دون كوهن) ، (دافيد ستوكتون) كبير اقتصاديي بنك الاحتياط الفيدرالي منذ عام ٢٠٠٠ م .

رئيس بنك الاحتياط الفيدرالي

تعليق : قد يبدو هذا المنصب مخيفاً ، وقد يبدو أن المهمة لا تتعدى رفع سعر الفائدة أو خفض سعر الفائدة ، بمقدار ربع نقطة أو نصف نقطة ، وانتظار الاستجابة من الاقتصاد القومي . وآلان غرينسبان هو واحد من مجموعة خبراء يتخذون قراراتهم بالتصويت .

استقلالية البنك

- بنك الاحتياط الفيدرالي مستقل عن البيت الأبيض طبقاً للقانون .
- لكن يؤسفني أن أقول : إن استقلال بنك الاحتياط الفيدرالي ليس أمراً غير قابل للتغيير .

هل علي أن أقبل جائزة أونرون ؟

هذا هو السؤال الذي طرحته في تشرين الثاني (نوفمبر) ٢٠٠١ م على صديقي القديم ومعلمي جيمس بيكر ، فرداً قائلاً : إنها جزء من برنامج معهد بيكر الذي تتحدث فيه . لم أكن أدري أن هناك مكافأة سوف تمنح في حفل العشاء . فقد كان سهم إنرون ينهار ، وخلال ٣ أسابيع ستكون الشركة عاجزة عن سداد ديونها . وافقت على قبول الجائزة بشرط ألا يكون هناك تقديم رسمي أو أن يدخل في الأمر أي مال .

تعليق : الشرط غامض ، وهو بخلاف ما رواه مؤلف كتاب : فضائح شركة إنرون !

تبخرت إنرون ولم تترك وراءها إلا غضب المساهمين والعاملين .
ولم أر شركة أمريكية كبيرة تهبط من وضع متميز إلى انعدام فعلي بهذه السرعة ! وكان التلاعب المحاسبي هو العامل الأبرز في الانهيار .

السياسة النقدية

- يجب أن تجعل السياسة النقدية الاقتصاد ، حتى اقتصاد العملة الورقية ، يتصرف وكأنه مغطى بالذهب . لا بد أن العالم قد تعلم باستمرار فوائد الأسعار المستقرة للنمو الاقتصادي ومستويات المعيشة .

- كان لدي باستمرار حنين إلى استقرار الأسعار الفطري الخاص بقاعدة الذهب ؛ إذ كانت العملة المستقرة هي الهدف الأساسي لهذه القاعدة .

- ليس هناك دعم لقاعدة الذهب الآن ، ولا أرى احتمالاً لعودتها .
ذلك أنها لا تتفق بسهولة مع الرؤية المقبولة حالياً على نطاق واسع ، فيما يتعلق بوظائف الحكومة ، لاسيما وظيفة توفير شبكة الأمان الاجتماعي .

- ليس معروفاً ما إذا كان سيسمح لبنك الاحتياط الفيدرالي بتطبيق دروس السياسة النقدية الخاصة بالعقود الأربعة الماضية . على أن حالة السياسة الأمريكية التي تتسم بالقصور لا تمنحني أي ثقة في المدى القصير ، بل إننا سنرى بدلاً من ذلك عودة الخطاب الشعبوي المعادي لبنك الاحتياط الفيدرالي ، والكامن منذ عام ١٩٩١ م .

العالم والحكومة

شاركت في اشتباك إيديولوجي عام ١٩٩٤م ، عندما ناقشت في

الصين رأسمالية السوق الحرة مع (لي بنج) وهو ماركسي متحمس ،
وسلف (زو) في رئاسة الوزراء ، وكان مجادلاً مخيفاً . ولم أكن أتوقع
أن يغير رأيه . وكان كلانا في وضع مسؤولين حكوميين يدخلون في
جدال ، إلا أنه عندما يثبت خطأهم لا تجد لديهم سلطة الاعتراف
بالخطأ . وبغض النظر عن مقدار ما بذلته من جهد لإقناعه ، وما بذله هو
من جهد لإقناعي ، إلا أن أيّا منا لا يستطيع أن يحيد علناً عن سياسة
حكومته المعلنة !

تعليق : في بلداننا النامية عندما نرى مسؤولاً يدافع عن سياسة
حكومته ، ولا يجرؤ على مخالفتها ، فإنه يتعرض للازدراء ويتهم بالتملق
والنفاق ! ما الفرق بيننا وبينهم ؟

الاشتراكية

- الملكية الخاصة سرقة .

- الربح غير أخلاقي .

تعليق : في الإسلام الملكية الخاصة مشروعة ، والتجارة مشروعة ،
والربح مشروع ، وتعظيم الربح مشروع في حدود الأحكام والآداب
الإسلامية . ومع كل هذا ، لا يتفق النظام الاقتصادي الإسلامي مع النظام
الرأسمالي ، لاختلاف الحلال والحرام بيننا وبينهم .

الاشتراكية الفابية

- سُميت باسم القائد الروماني القديم (فابيوس) الذي قاوم جيش
(هانيبال) الغازي ، وذلك بإستراتيجية عسكرية تقوم على الاستنزاف ،
وليس على المواجهة الشاملة . كذلك لم يكن الفابيون يهدفون إلى القضاء
على الرأسمالية ، بل كانوا يهدفون إلى احتوائها . وكانوا يؤمنون بأن على

الحكومة أن تحمي الرفاه العام حماية فعالة من منافسة قوى السوق القاسية . وكانوا يدعون إلى الحماية في التجارة ، وإلى تأميم الأرض . وكانوا يضمون في صفوفهم بعض المشاهير ، من أمثال جورج برناردشو وبرتراند راسل .

- بخلاف ماركس ، لم يكن الاشتراكيون الفابيون ، أواخر القرن التاسع عشر ، يسعون إلى الثورة .

- كان يرى الكثيرون أن الاشتراكية الفابية تجعل اقتصادات السوق مقبولة من الناحية السياسية ، كما تمنع الشيوعية من الانتشار .

- شارك الفابيون في تأسيس حزب العمال البريطاني .

- في الهند اعتمد جواهر لال نهرو على المبادئ الفابية في السياسة الاقتصادية الخاصة بخمس سكان العالم .

إعادة تعريف الاشتراكية

أعاد الاشتراكيون في الغرب تعريف الاشتراكية ، بحيث لم تعد تتطلب ملكية الدولة لكل وسائل الإنتاج .

لمصلحة من ؟

- أظن أن (هنري غونزاليس) كان يفترض أن مجلس بنك الاحتياط الفيدرالي هم مجموعة من المعينين الذين يديرون السياسة النقدية لمصلحة وول ستريت أكثر من مصلحة الرجل العادي .

- يقول (بروس فنتو) عضو الكونغرس : إننا نحمي الأغنياء من الآثار القاسية لقوى السوق ، مع أن هذه القوى كثيرًا ما تتسبب في بؤس الشخص البسيط . إن هناك قاعدتين : إحداهما للشارع العام ، والأخرى لشارع وول ستريت .

تعليق : حماية الضعفاء من طغيان الأقوياء لا يكون إلا في الأديان السماوية . أما في النظم المادية فإن الأقوياء والأثرياء لا ريب أنهم هم الذين يتحكمون بالسياسة والاقتصاد والمال والتشريع .

سلطة الرئيس الأمريكي

- عندما ترك نيكسون منصبه شعرت بالارتياح ، فأنت لا تعرف ما يمكن أن يفعله ، في الوقت الذي يتمتع فيه رئيس الولايات المتحدة بسلطة مخيفة . فمن الصعب جدًا على أحد ضبط الجيش ، أقسم على دعم الدستور ، أن يقول : سيدي الرئيس ، لن أفعل ذلك !
- كنت أشعر أن أصعب شيء في العالم أن تقول : لا ، لرئيس الولايات المتحدة .

تعليق : قد لا يتوقع المرء منا أن يهاب خبير في بلد رأسمالي ديمقراطي مثل هذه الهيئة من رئيس الدولة . هل نحن أشجع منهم ، أم نحن فدائيون ؟

خطبة بوش

إن الهجوم (١١ سبتمبر أيلول ٢٠٠١م) يستهدف أمريكا ؛ لأنها ألععلامات الحرية وفرص التقدم في العالم . لن يمنع أحد هذا الضياء من أن يسطع .

ملياردير سعودي

كان أحد أعضاء المجلس الاستشاري العالمي لمورغان ملياردير سعودي اسمه (سليمان العليان) ، وكان مستثمرًا يكبرني ببضع سنوات ، بدأ حياته سائقًا للشاحنات في شركة النفط الأمريكية العربية أرامكو في الأربعينيات . وهو أول من أدخل التأمين إلى المملكة .

الأزمات

- من خلال خبرة ١٤ عامًا (إلى حين هذا الكلام) من عملي كرئيس لبنك الاحتياط الفيدرالي ، رأيت الاقتصاد يخرج سالمًا من أزمات كثيرة (. . .) . وأخذت شيئًا فشيئًا أعتقد أن أعظم قوة للاقتصاد الأمريكي تكمن في قدرته على التعافي .

- لا ترسم المشكلات المالية التي تواجه ربع القرن المقبل مجتمعة صورة لطيفة . لكن مع ذلك فقد خرجنا بسلام مما هو أسوأ من ذلك بكثير . والواقع أن هناك في الوقت الراهن عددًا من الاختلالات المالية المخيفة .

- إن التعاملات السريعة والمحملة بالمخاطر يمولها مستثمرون محترفون أثرياء ، وليس الجمهور العام . وسوف تفشل جهود مراقبة سلوك السوق الذي يمضي بسرعات ضخمة ، كما سوف تفشل محاولات التأثير عليه . لم يعد القطاع العام كفيًا لأداء المهمة . إن جيوش الفاحصين لمراقبة المعاملات العالمية في الوقت الراهن ستقضي بأعمالها على المرونة الضرورية جدًا لمستقبلنا . ليس أماننا من اختيار معقول سوى أن ندع الأسواق تعمل ، ففشل السوق هو الاستثناء النادر ، ومن الممكن تخفيف نتائجه من خلال نظام اقتصادي ومالي مرن .

تعليق : الرأسماليون يعولون كثيرًا على نجاح السوق وفشل الحكومة ، خلافًا للاشتراكيين ، فإذا وقعت أزمة ، هل تنجح السوق في تصحيح نفسها ، أم تنجح الحكومة في التدخل ؟ سؤال يحيرهم ، ويكفكف من تغنيهم بالحرية وتخفيف القيود أو إلغائها . كأنني بالرأسماليين يتصرفون ويقولون : السوق تتكيف وتصحح نفسها ، أو يقولون : ومن بعدي الطوفان ! أو إن للبيت ربًا يحميه !

الركود والكساد والانتعاش

قال ريغان : الركود هو عندما يفقد جارك وظيفته ، والكساد عندما تفقد أنت وظيفتك ، والانتعاش عندما يفقد كارتر وظيفته !
تعليق : هذه تعاريف سياسية لاذعة في السخرية .

أزمة ٢٠٠٣م

- بحلول عام ٢٠٠٣م كان الكساد الاقتصادي قد قطع شوطاً طويلاً ، وكان من المحتمل دخول الاقتصاد الأمريكي في دوامة تصيبه بالشلل . ففي الاقتصادات الحديثة التي يعدّ التضخم صداعها المزمّن ، يكون الانكماش مرضاً نادراً .

- لم تعد الولايات المتحدة تقوم على قاعدة الذهب ، ولا يمكنني تصور حدوث الانكماش في ظل قاعدة العملة الورقية . فقد كنت أفترض باستمرار أنه إذا بدا الانكماش وشيكاً أمكننا البدء في تشغيل المطابع وخلق الدولار بالقدر الضروري لوقف الانكماش .

كشف التلاعب والاختلاس

- التلاعب مدمر لعمليات السوق ؛ لأن كل مشارك في السوق بحاجة إلى الاعتماد على صدق المشاركين الآخرين .

تعليق : كيف ينفي هؤلاء الاقتصاديون الأخلاق من الأبواب ، ثم يعودون إلى المطالبة بها من النوافذ ؟ ألم يصرحوا كثيراً بأن الاقتصاد لا علاقة له بالأخلاق ؟ !

- الغش والتلاعب هما لعنة نظام السوق ، وإن واشنطن سوف تحسن صنعا إذا ما أسرعت في تنفيذ القوانين المضادة للغش والاحتيال .

- مع أن بعض مراقبي البنوك يجيدون الترويج للممارسات المصرفية السليمة ، إلا أن فرصتهم ضئيلة في كشف معظم التلاعب أو الاختلاس ، بدون عون من أحد المبلغين من الداخل . فالإشراف على البنوك لا يبحث عن النشاط الإجرامي . فقد حدث أن مفتشي بنك الاحتياط الفيدرالي أعطوا تقديرين مرتفعين لفرع أحد البنوك اليابانية في نيويورك ، في الوقت الذي كان فيه هذا الفرع مسرحًا لقدر كبير من الاختلاس المستمر . ولم يكشف عن هذه الجرائم إلا أحد المطلعين من الداخل . ولولا ذلك لاحتجنا إلى جيش ضخّم ومكلف من المحققين أو المراقبين ، ربما يعرقلون عمل الشركة ويهددون قابليتها للاستمرار .

- قال روزفلت : دعوا اللص يمسك اللص .

قروض الرهن العقاري

- في أنحاء كثيرة من الولايات المتحدة ارتفعت قيمة العقارات السكنية ، التي نشطت بسبب هبوط سعر الفائدة ، ارتفاعًا مفاجئًا .

- قامت المؤسسات المالية بتيسير الحصول على قروض الرهن العقاري إلى حد كبير .

- شجعت الحكومة برامج الرهون العقارية الثانوية ، الأمر الذي دفع أعدادًا كبيرة من أفراد الأقليات (السود ، وذوو الأصول الإسبانية) لكي يصبحوا مشترين للمنازل لأول مرة . وكنت أرى أن ذلك التوسع في الملكية يمنح المزيد من الناس حصة في مستقبل بلدنا ، ويبشر بالخير فيما يتعلق بتماسك الأمة .

- كنت أعني أن تسهيل شروط الائتمان الخاصة بالرهن العقاري لمقترضي التصنيف الائتماني المنخفض يؤدي إلى زيادة المخاطر

الائتمانية . غير أنني بالمقابل كنت أعتقد أن لتوسيع ملكية المنازل فوائد تستحق هذه المخاطرة .

قيود رجال الدين والدولة

تأثر آدم سميث (١٧٢٣ - ١٧٩٠ م) بأفكار حركة الإصلاح ، ولأول مرة في تاريخ الحضارة الغربية بدأ الأفراد ينظرون إلى أنفسهم على أنهم قادرون على العمل بشكل مستقل عن قيود رجال الدين والدولة ، وانتشرت الأفكار الحديثة الخاصة بالحرية السياسية والاقتصادية .

اليد الخفية

المنافسة عامل أساسي ؛ لأنها تدفع كل شخص لكي يصبح أكثر إنتاجية ، في الغالب من خلال التخصيص وتقسيم العمل ، وكلما زادت الإنتاجية زاد الرخاء . إن الأفراد الذين يتنافسون من أجل المكسب الخاص يتصرفون وكأن يدًا خفية تقودهم إلى تعزيز المصلحة العامة . فإننا حسب آدم سميث لا نتوقع الحصول على عشائنا بفضل إحسان اللحام أو الخباز ، بل نتيجة لاهتمام كل منهما بمصلحته الشخصية .

تعليق : فكرة آدم سميث فكرة صحيحة ، فالأعمال لا يمكن أن تقوم على التبرع ؛ لأن التبرع نادر ، بل لا بد من أن تقوم هذه الأعمال على أساس المعايضة والتجارة وتحقيق الأرباح ، وهو ما سبق إليه علماء المسلمين . كذلك فكرة اليد الخفية لها أصل عند علمائنا ، كما هو مبين في مواضع أخرى .

هل الحصول على الثروة منافٍ للأخلاق ؟

جاء في الكتاب المقدس : « دخول جمل من ثقب الإبرة أيسر من دخول غني إلى ملكوت الله » . ومع أن جذور الاشتراكية دنيوية ، إلا أن

قوتها السياسية الدافعة مشابهة لكثير من الصفات الدينية التي تسعى إلى تخفيف مآسي الفقراء . وقد تم الحكم على السعي وراء الثروة بأنه منافٍ لقواعد الأخلاق ، وذلك قبل ظهور دولة الرفاه بزمان طويل .

تعليق : السعي وراء التجارة والثراء والربح ليس حراماً في الإسلام ، إذا كان ضمن أحكام الإسلام وآدابه . فالغني الشاكر صحيح أنه نادر ، إلا أن له مكانته في الدنيا والآخرة .

السبيل إلى الثروة

كان (سميث) يؤمن بأن العمل بذكاء أكبر ، وليس بجهد أكبر فحسب ، هو السبيل إلى الثروة .

قد يكون النشاط قانونياً مع أنه بغيض

- ليست كل الأنشطة التي تمارس في الأسواق تتسم بالتمدن ، فالكثير منها بغيضة ، على الرغم من كونها قانونية .
- انتهاك القانون وخيانة الثقة يقوضان كفاءة الأسواق .

تعليق :

- سبق أن نقلت مثل هذا الكلام عن الفيلسوف الفرنسي (آندريه كونت سبونفيل) في كتابه : هل الرأسمالية أخلاقية ؟
- ألا ترى أن رجال الاقتصاد لا غنى لهم عن الأخلاق والآداب والفضائل والمستحبات ، حتى مع وجود القوانين ؟ !

فبلن

اقتصادي أمريكي (. . .) اشتهر عنه مصطلح (الاستهلاك التافخي) في كتابه (نظرية طبقة الفراغ) ، أو الطبقة المترفة . فقد

نكون أصدقاء إلا أننا أيضًا متنافسون في الدخل والخرج والمحاكاة ،
وكلما حققنا مستوى معيشة أعلى سرعان ما نتصور أن هذا المستوى صار
عاديًا ؛ لأن أي مكسب من الرضا الإنساني ليس إلا أمرًا مؤقتًا .

الضغط العصبي

إذا ربطت السعادة بالرفاه المادي فقط ، فإن كل أشكال الرأسمالية
تتلاقى عند النموذج الأمريكي ، ومع أنه هو الأكثر ديناميكية وإنتاجية ،
إلا أنه هو النموذج الذي يخلق أكبر قدر من الضغط العصبي ، لاسيما في
سوق فرص العمل . فإن حوالي ٤٠٠ ألف شخص في الولايات المتحدة
يفقدون وظائفهم كل أسبوع .

التفكير الحمائي

دخلت الطبقة الصناعية الجديدة في صراع مع الطبقة الأرستقراطية التي
كانت ثروتها تقوم على الأملاك الموروثة . وبدأ التفكير الحمائي ،
المعروف بالمذهب المركنتيلي ، الذي خدم مصالح ملاك الأراضي ،
يفقد قبضته على التجارة .

رفع القيود

أدى رفع القيود إلى زيادة كبيرة في مرونة الاقتصاد وقدرته على
التكيف .

التضخم

لا يجب التهوين من معدل التضخم الذي يتراوح بين ٤,٥ و ٥ ٪ ،
فلن يسعد أحد برؤية أمواله المدخرة تفقد نصف قدرتها الشرائية خلال ١٥
عامًا أو نحو ذلك .

ربط الأجور

ربط الأجور بالأسعار ليس سوى مسكن ، من المرجح أن يؤدي على المدى الطويل إلى مشكلات ذات خطورة .

تفاوت فاحش بين الأجور

إنه لمن دواعي السخط الكبير أن يكون أجر العامل في المصنع عند الحد الأدنى ، بينما يحصل المديرون في الشركات على أرباح تصل إلى ملايين الدولارات !

تعليق : مكافآت المديرين الفاحشة صارت مسألة كثيرًا ما تطرح مع وقوع الأزمات المتكررة للبنوك والشركات .

الثقة

لابد من كسب الثقة ، فغالبًا ما تكون السمعة هي أكثر الأصول قيمة في ميزانيات المنشآت التجارية .

تعليق : هذا اعتراف آخر بمكانة الأخلاق في عالم الاقتصاد والأعمال ، ودعوى استبعاد الأخلاق دعوى كاذبة ومردودة .

الأمانة

باعتباري منظمًا للبنوك لمدة تزيد على ١٨ عامًا صرت أعترف بأن التنظيم الحكومي لا يمكن أن يحل محل الأمانة الشخصية .

تعليق : وهل يمكن التعويل على الأمانة الشخصية ، لاسيما في ظل نظام اقتصادي ينكر الأخلاق ويسمح بما ينافيها ؟

الثروة السهلة

إن الثروة السهلة غير المكتسبة غالبًا ما تضعف القدرة الإنتاجية . وقد وفرت دول النفط الخليجية الكثير من وسائل الراحة لمواطنيها ، على نحو جعل من ليس لديهم رغبة فطرية في العمل لا يعملون . وأصبحت الأعمال العادية من نصيب المهاجرين والعمال الوافدين .

المرض الهولندي

- هذا المصطلح وضعته مجلة (إيكونوميست) في السبعينيات لوصف عناء أصحاب المصانع في هولندا بعد اكتشاف الغاز الطبيعي فيها .

- قال الرئيس الفنزويلي فراديك دي منزيس عام ٢٠٠٣ م : لقد وعدت شعبي بأننا سوف نتحاشى ما يسميه البعض (المرض الهولندي) أو لعنة النفط .

- تبين الإحصاءات أن الدول النامية الغنية بالموارد الطبيعية هي أسوأ أداءً في نمو إجمالي الناتج المحلي من الدول الفقيرة بالموارد الطبيعية .
تعليق : إذا تم الاتكال على النفط والموارد الطبيعية فإن هذا قد يحول النعمة نقمة .

الرأسمالية

- لا أزعـم أن العالم يوشك أن يعتنق رأسمالية السوق ، باعتبارها الشكل الوحيد المناسب للتنظيم الاقتصادي والاجتماعي . فلا تزال هناك أعداد كبيرة من الناس تعتبر الرأسمالية مهينة بتأكيداها على النزعة المادية .
- على امتداد ١٢ جيلاً ، حققت الرأسمالية التقدم تلو التقدم ،

وارتفعت مستويات المعيشة ونوعياتها بمعدلات غير مسبقة ، عبر أجزاء كبيرة من المعمورة .

- على الرغم مما أثبتته رأسمالية السوق من أنها مثمرة على نحو رهيب ، إلا أن نقطة ضعفها هي تنامي تصور أن مكافآتها ، التي تميل بشكل متزايد إلى أصحاب المهارات ، لا توزع بالعدل .
تعليق : هذا اعتراف بالظلم وعدم العدالة في النظام الرأسمالي .

غاية في التعقيد

- أصبح الاقتصاد العالمي على قدر كبير من التعقيد والتداخل ، ولا بد لعملية وضع السياسات التي نقوم بها من التطور ؛ لكي تتجاوب مع هذا التعقيد .

- أصبحت الأسواق على قدر كبير من الضخامة والتعقيد وسرعة الحركة ، بحيث لا يمكن إخضاعها للإشراف والتنظيم كما كانا في القرن العشرين . وليس مستغرباً أن يمتد هذا العملاق المالي ، بحيث يصعب فهمه حتى على أكثر المشاركين في السوق تقدماً .

- في عالم اليوم لا يمكنني أن أرى كيف يمكن للمزيد من التنظيم الحكومي أن يساعد في شيء . فعلى سبيل المثال قد يكون جمع بيانات عن الميزانيات العمومية لصناديق التحوط عديم الفائدة ؛ لأن هذه البيانات ستصبح قديمة قبل أن يجف الحبر .

تعليق : هذا التعقيد الذي قد يكون بعضه ، أو معظمه ، متعمداً ، يجعل الحلليم حيران عند محاولات الخروج من الأزمات والكوارث الاقتصادية التي تحدث في النظام الرأسمالي .

حقوق الملكية

- إن الملكية في الصين يمكن أن تكون مشروطة إلى حد كبير ، فهل أنا أملك قطعة من الأرض ملكية تامة ، أم إن عليها العديد من حقوق الاستعمال ، التي تقلل قيمتها إلى حد كبير بالنسبة لي ؟

- إذا كان بإمكان الحكومات الاستيلاء على أرضي حسب تقديرها ، فما هي قيمة حقوق ملكيتي ؟

- في ظل الخوف الدائم من نزع الملكية ، ما الجهد الذي يمكن أن أقوم به لتحسين أملاكي ؟ وما الثمن الذي يمكنني تحديده إذا اخترت بيعها ؟ .

تعليق : من لم يطمئن إلى حماية القانون لملكيته الخاصة حماية فعلية فإنه يشعر بأن حريته ضعيفة ، وسعيه ونشاطه فاتران .

الملكية الفكرية

- عالمنا الحالي وُضع من أجل عالم تكون فيه الغلبة للأصول المادية ، فلم يعد مناسبًا لاقتصاد يتزايد فيه تجسد القيمة في الأفكار أكثر من تجسدها في الأصول المادية الملموسة .

- إن أهم قرار اقتصادي سوف يواجه واضعي القوانين ، والمحاكم لدينا ، في السنوات الخمس والعشرين المقبلة ، هو توضيح قواعد الملكية الفكرية .

الدين

ثمة حقيقة أساسية خاصة بالحياة الحديثة ، هي أنه في اقتصاد السوق يسير ارتفاع الدين جنبًا إلى جنب مع التقدم .

تعليق : أصل الدين مشروع في الإسلام ، كما في البيوع المؤجلة ، ولكن هناك ضوابط وأحكام شرعية تمنع التوسع في الدين والإفراط فيه ، بما قد يؤدي إلى العجز عن السداد والإفلاس .

العجز

- أسباب عجز الحساب الجاري الأمريكي الضخم في السنوات الأخيرة أسباب تفاعلية تجعل من الصعب فصل أحدها عن الآخر . فعلى سبيل المثال إن حدوث ارتفاع في ادخار الأسرة المعيشية ، بافتراض بقاء الأشياء الأخرى على حالها ، يخفض عجز الحساب الجاري للبلد .

- لكن الأشياء الأخرى لا تبقى على حالها أو لا تتساوى . فالزيادة في ادخار الأسر المعيشية تعني ضمناً هبوطاً في إنفاق الأسر المعيشية ، ومن ثم هبوطاً في ادخار الشركات ، حيث تقل الأرباح . وهذا يؤدي إلى هبوط إيرادات الدولة من الضرائب على الأرباح ، الأمر الذي يؤدي بدوره إلى انخفاض ادخار الحكومة ، وهلم جرأً . وبما أن جميع مكونات الادخار والاستثمار متداخلة فيما بينها ، فإن العلاقات تتسم بالغموض .

تعليق : قد يفهم من هذا أن المؤلف يعترض على فرض بقاء الأشياء الأخرى على حالها ، والصحيح أن الفرض صحيح ، ويراد منه معرفة تأثير كل متغير على حدة ، أما أن تبقى الأشياء الأخرى على حالها أو لا تبقى فهذا أمر آخر لا يضعف الفرض .

- أتوقع أن يستمر الخلاف في أسباب الزيادة الحادة في عجز الحساب الجاري الأمريكي . لكن السؤال المهم : هل سيكون التكيف ، الذي يبدو أنه حتمي ، أمراً حميداً ، أم إنه سيؤدي إلى أزمة مالية دولية ، عندما ينهار الدولار ، كما يخشى كثيرون ؟ أنا أميل ، كما أشرت من قبل ، إلى النتيجة الحميدة .

تعليق : وقعت الأزمة عام ٢٠٠٨م ولم يصدق توقع المؤلف . وتشير التحقيقات الجارية حاليًا إلى أن المؤلف واحد من العشرة الكبار المسؤولين عن الأزمة .

التضخم

من الصعب كبح جماح التضخم في عالم العملات الورقية .

الطاقة أو النفط

- تغيرت نبرة صداقتنا منذ منصبه الجديد ، فأنا لم أعد أناديه ديك (ديك تشيني) ، بل : سيدي نائب الرئيس ، ومع أنه لم يطلب مني هذه المخاطبة الرسمية الجديدة ، إلا أنه لم يعترض عليها . وكانت أحاديثنا بشكل أساسي حول التحديات التي تواجه الولايات المتحدة ، وكانت الطاقة موضوعًا أساسيًا .

- النفط متغلغل في عالم اليوم الاقتصادي ، بحيث يمكن لأي انقطاع مفاجئ في العرض أن يربك اقتصادنا واقتصادات دول أخرى . وفي نهاية المطاف يتطلب الأمن القومي الأمريكي أن ننظر إلى النفط على أنه مصدر طاقة بالاختيار وليس بالاضطرار .

- بغض النظر عن قلق السلطات الأمريكية والبريطانية المعلن بشأن أسلحة الدمار الشامل الخاصة بصدام حسين ، فقد كانت هذه السلطات معنية أيضًا بالعنف ، في منطقة تؤوي موردًا لا يمكن الاستغناء عنه لكي يعمل الاقتصاد العالمي .

- يحزنني أنه ليس من المناسب سياسيًا الاعتراف بما يعرفه الجميع : وهو أن حرب العراق كانت إلى حد كبير من أجل النفط . إن دور النفط

لا زال كبيراً بحيث يمكن لأي أزمة نفط أن تحدث ضرراً بالغاً بالاقتصاد العالمي .

- من المعقول إلى حد كبير أن ينتهي التمرد العراقي ، وأن يولد العراق أكثر من ٥ ملايين برميل يومياً من احتياطياته الضخمة غير المستخرجة .

التدمير الخلاق

- التدمير الخلاق Creative Destruction أو الإبداعي أو البناء هو الفكرة التي أبرزها أستاذ الاقتصاد بجامعة هارفارد جوزيف شومبيتر عام ١٩٤٢م . وهي فكرة واضحة ؛ لأنها قوية ، مفادها أن اقتصاد السوق سوف يجدد نفسه باستمرار من الداخل ، بالتخلص من الأعمال القديمة الفاشلة ، وإعادة توزيع الموارد على الأعمال الأحدث الأكثر إنتاجية . لقد قرأت شومبيتر وأنا في العشرينيات من عمري ، وكنت أظن أنه دائماً على صواب .

- انتعاش التكنولوجيا الفائقة السريع الخطى هو ما حقق في النهاية قدراً كبيراً من الرواج لفكرة شومبيتر ؛ التي أصبحت عبارة شائعة في تكنولوجيا المعلومات .

- وجد ملايين الأمريكيين أنفسهم فجأة معرضين للجانب المظلم من التدمير البناء ؛ إذ دخلت مهن السكرتاريا والأعمال الكتابية في برامج الكمبيوتر ، مثل أعمال الرسم في العمارة والتصميم الآلي والصناعي . وأصبح عدم الأمان الوظيفي قضية بالنسبة لذوي الياقات البيضاء ، كما كان سابقاً قضية بالنسبة لذوي الياقات الزرقاء .

انهيار إنرون

زاد إفلاس شركة إنرون في كانون الأول (ديسمبر) ٢٠٠١م من

التشاؤم وعدم التأكد . فقد بدأت موجة من فضائح المحاسبة والإفلاسات التي تكشف عن الجشع وسوء التصرف للذين ينشران العدوى ، وهما الجانب المظلم من الانتعاش الاقتصادي العظيم .

انهيار ورلد كوم

في صيف ٢٠٠٢م انهارت شركة الاتصالات العملاقة ورلد كوم في سحابة من غش المحاسبة ، وبما أن قيمة أصولها ١٠٧ مليار دولار فقد كان إفلاسها أكبر إفلاس في التاريخ .

شراء الأصوات

اشتكى (جاك كيمب) من أن الديمقراطيين يشترون الأصوات باستمرار لتشجيع الإنفاق في كل مكان . وفي النهاية سوف يقع العجز الناتج عن ذلك في حجر الإدارة الجمهورية كي تحله .

تخفيض الضرائب

أصبحت قضية تخفيض الضرائب لفترة قصيرة سيركاً إعلامياً . ففي ذلك الأسبوع نشر أكثر من ٤٥٠ اقتصادياً ، منهم ١٠ من الحائزين على جائزة نوبل ، خطاباً يقولون فيه : إن تخفيض الضرائب الذي يقترحه بوش سوف يزيد العجز بدون أن يساعد الاقتصاد كثيراً . وقد ردّ البيت الأبيض برسالة وقع عليها ٢٥٠ اقتصادياً يدعمون خطته .

لا وقت لدي للأكل

كان الرئيس بوش يدعوني في كل عام عدة مرات لتناول طعام الغداء في غرفة طعامه الخاصة ، مع نائب الرئيس ديك تشيني ، وأندي كارد ، وأحد مستشاريه الاقتصاديين . وكنت أنا من يتحدث معظم الوقت ، عن

الاتجاهات والمشكلات الاقتصادية العالمية . وكنت أتحدث كثيرًا حتى
إنني لا أذكر أنه كان لدي وقت للأكل . وينتهي بي الحال لأن أكل لقمة
عند عودتي إلى مكثبي .

انتخابات الكونغرس

كان من الصعب قياس إجمالي مبالغ الرشاوى الانتخابية ، لقد كانت
بعشرات الملايين من الدولارات !

الصين

- الاقتصاد الصيني ثاني أكبر اقتصاد بعد الولايات المتحدة ، وأكبر
مستهلك للسلع في العالم ، وثاني أكبر مستهلك للنفط في العالم ، وأكبر
منتج للصلب .

- تفاوت الدخل في الصين أكثر منه في الولايات المتحدة ، وهذا أمر
يبعث على الدهشة .

روسيا

أدهش العجز عن تسديد القروض المستثمرين والبنوك الذين صبّوا
الأموال في روسيا ، بالرغم من المخاطر الواضحة . وكان الكثيرون
يفترضون أن الغرب سينقذ القوة العظمى المنهارة ، فقد كان القول السائد
هو أن روسيا دولة نووية إلى حد كبير لا يمكن معه أن تفشل . وكان هذا
الرهان خاطئًا .

أكبر من أن يفشل

قالت صحيفة نيويورك تايمز في صدر صفحتها الأولى : بنك
الاحتياط الفيدرالي ينقذ أحد الصناديق ؛ لأنه يراه أكبر من أن يفشل .

أغنى رأسمالي في العالم

عندما زار (بيل غيتس) ، أغنى رأسمالي في العالم ، (هانوي)
حيّاه قادة الحزب الشيوعي الفيتنامي ، وتجمعوا حوله بإعجاب . إن
للأفكار أهميتها ، والواقع أنه اتضح أن أفكار أمريكا الرأسمالية أشد بأسًا
من سلاحها .

الحدود

لم يكن هناك في واشنطن سؤال أكبر من هذا السؤال : لماذا لم يقع
هجومٌ ثانٍ ، إذا كانت نية القاعدة هي إرباك الاقتصاد الأمريكي ، كما
أعلن (بن لادن) ؟ كان مجتمعنا مفتوحًا ، وحدودنا يسهل اختراقها ،
وقدرتنا على كشف الأسلحة والقنابل ضعيفة (. . .) . لو أن هجومًا
ثانيًا ، أو ثالثًا ، أو رابعًا قد وقع ، هل كانت ثقافتنا ستتحمله ؟ هل كنا
سنتمكن من الحفاظ على اقتصاد قادر على البقاء ، كما هو الحال لدى
الإسرائيليين ؟ (. . .) . لقد كانت لدي ثقة كبيرة في أنه يمكننا ذلك ،
غير أن ذلك الشك موجود باستمرار .

تعليق : كل شيء يقوله غرينسبان بتحفظ شديد ، حتى إنك يمكن أن
تفهم من قوله المعنى وعكسه ! وذلك على طريقة الكثير من العلماء :
نعم . . . ولكن . وهذا عائد لطبيعته من جهة ، ولتعقد الأمور من جهة
أخرى .

مؤشر حقيبة الأوراق !

اخترعت (سي إن بي سي) حيلة تسمى مؤشر حقيبة الأوراق ، فقد
كانت الكاميرات تتبعني في صباح اجتماعات لجنة الأسواق المفتوحة

الفيدرالية إلى أن أصل إلى بنك الاحتياط الفيدرالي . فإذا كانت الحقيقة غير منتفخة فإن عقلي يكون غير مضطرب ، ويكون الاقتصاد جيدًا . أما إذا كانت الحقيقة محشوة ومنتفخة ؛ فهذا يعني أنني أمضيت جزءًا كبيرًا من الليل في العمل ، وأن هناك ارتفاعًا وشيكًا في أسعار الفائدة . لكن غاية ما في الأمر أنني وضعت وجبة الغداء في الحقيقة !

التقاعد

عندما أراد كلنتون إعادة تعييني لفترة رابعة ، صحيح أنني كنت في الثالثة والسبعين من عمري ، غير أنني لم أكن أرى أيَّ نقص في قدرتي الإبداعية ، أو في قدرتي على معالجة العلاقات الرياضية ، أو على شهيتي للعمل .

الانتحار

كان أحد أول الكتب التي قرأتها عن سوق الأوراق المالية البريطانية هو كتاب عن (جيسي ليفرمور) ، الذي كان مضاربًا مشهورًا في العشرينيات ، كان يعرف بفتى وول ستريت الغواص . تقول الأسطورة : إنه كسب ١٠٠ مليون دولار من خلال البيع على المكشوف ، عشية انهيار ١٩٢٩ م . وأصبح غنيًا وأفلس ٣ مرات ، قبل أن ينتحر في عام ١٩٤٠ م .

البارونات اللصوص

أصبحت هوايتي فهم كل المعرفة الموجودة على تلك الرفوف ، حيث قرأت عن البارونات اللصوص . وهو كما ذكر المترجم تعبير أطلقه الرئيس الأمريكي روزفلت في مطلع القرن العشرين ، على أفراد العائلات التي بنت مجدها على أموال مغتصبة أو مسروقة .

قصور التعليم

- يلاحظ قصور التعليم الابتدائي والثانوي في الولايات المتحدة .
فهناك طلاب لا يمكنهم كتابة جملة واحدة مترابطة ، ولا يمكنهم جمع
عمود واحد من الأرقام جمعاً دقيقاً .

- أخفق نظام التعليم الابتدائي والثانوي الأمريكي ، الذي يتسم
بالقصور ، في إعداد طلابنا بالسرعة الكافية لمنع حدوث نقص في العمال
المهرة . وما لم يرفع النظام التعليمي في أمريكا مستويات المهارة بالسرعة
التي تتطلبها التكنولوجيا ، فسوف يظل العمال المهرة يتقاضون زيادات في
الأجور ؛ تؤدي إلى شطط أكثر إزعاجاً في تركيز الدخول .

جامعة الهامبورجر

تقوم كثير من الشركات غير المكتفية بجودة العاملين الجدد لديها ،
باستكمال تعليمهم وقدراتهم ؛ لإعدادهم للمنافسة في الأسواق
العالمية . فلدى شركة جنرال موتورز نظام جامعي واسع ، يضم ١٦ كلية
وظيفية . وتقوم شركة ماكدونالدز بتعليم أكثر من ٥٠٠٠ موظف في السنة
في جامعة الهامبورجر التابعة لها .

الجمجمة والعظام

كان وزير المالية برادي والرئيس بوش صديقين يشتركان في كثير من
الأمور ، فكلاهما شخص ثري وعريق النسب ، كلاهما تخرج من جامعة
يال ، كلاهما عضو في « الجمجمة والعظام » . وهي جمعية سرية تهدف
إلى أن يحتل أعضاؤها أهم المراكز في البلاد .

مُعالج الكلمات

كنت أساعد في إعداد القسم الاقتصادي من خطاب الرئيس . وكانت الأمور تتغير بسرعة ، وكنا نضطر إلى إعادة الصياغة حتى آخر لحظة . وكان ذلك عملاً مملاً ؛ لأن معالج الكلمات لم يكن قد اخترع بعد . كنا نعمل بالمقص والشريط اللاصق وسائل التصحيح الأبيض !

المصادر

- بالإضافة إلى مواقع شبكة الإنترنت ، ذكر المؤلف قائمة طويلة من المصادر نقلت في الترجمة العربية كما هي على ٣ صفحات . ولكنه لم يُحلّ إلى أي منها في الهوامش . فإحالاته إلى الكتب والمجلات والصحف لا تتجاوز خمس إحالات .

- لو أردت ذكر كل مصادري ، وأمكنني ذلك ، لاحتجت إلى كتاب آخر في حجم كتابي هذا .

تعليق : لعله يقصد كل ما قرأه في حياته كلها .

التأليف والتحرير

- كتابي هذا عبارة عن ستة عقود (٦٠ سنة) من المعرفة المتراكمة .
- ذكر المؤلف قائمة طويلة جداً من المساعدين له في التأليف والتحرير وقراءة المخطوط وإبداء الملاحظات ، وتفريغ أشرطة المقابلات ، وتحضير الأرقام والقصص والحكايات .

تعليق : ربما يتساءل القارئ بعد ذلك كله : من الذي ألّف الكتاب ، وكيف تم تأليفه بهذا الحشد من المساعدين والمحريين والمشجعين ؟ مثل هذه الأمور لا نعرفها نحن العرب والمسلمين في عالم التأليف .

فالمؤلف يكاد يكون وحيداً ، ولا يكاد يستطيع أن يجد محرراً ، وأن ينجح في التعامل معه ، وهو واحد ، فكيف إذا كثر العدد وصار فريقاً كبيراً ؟ ولو وقع كتاب في يد فريق عندنا عدد أفراده بعدد أفراد ذلك الفريق لما خرج الكتاب إلى النور أبداً .

- نحن معشر العرب والمسلمين بحاجة إلى دراسة فن تحرير الكتب .

- ذكر المؤلف أن كتابه يقع في ٢٠٠ ألف كلمة ، وأن هناك أخطاء تقع في النهاية على عاتقه ، ولو علم بها لصححها .

- بالنظر لانشغاله في العمل الإداري والإشرافي ، فإن كتابه هذا لعله هو الكتاب الوحيد الذي ألفه ، وقد فرغ منه في بضعة شهور ، طبعاً هذا بالإضافة إلى رسالة الدكتوراه التي ربما لم تنشر . ولكنه كان ينشر مقالات في الصحف والمجلات .

الترجمة

المترجم أحمد محمود ، كما جاء على غلاف الكتاب ، مصري حاصل على جائزة محمد بدران في الترجمة من المجلس الأعلى للثقافة ، وله عدة ترجمات سابقة .

والمراجع سامر أبو هواش لبناني من مواليد ١٩٧٢ م ، كاتب وروائي وشاعر ومترجم .

الكتاب يخلو من قائمة مصطلحات ، والترجمة والمراجعة فيه هي على الشيوع كالعادة ، بحيث لا يمكن معرفة ما أضافته المراجعة إلى الترجمة .

والترجمة جيدة وواضحة ، والجهد فيها مقدر لاسيما وأن الكتاب كبير وذو طابع اقتصادي على خلاف التكوين الأدبي للمترجم والمراجع .

ويلاحظ في الآونة الأخيرة تحسن مستوى الترجمة في كتب الاقتصاد ، ولعل ذلك يعود إلى جوائز الترجمة التي استحدثت في السعودية وغيرها من بلدان الخليج .

لكن مع ذلك وقعت أخطاء لغوية ، منها :

- ثمانية سنوات ، والصواب : ثماني .

- يفرض علينا تحديدات جسام ، والصواب : جسامًا . وهذا ظاهر في الغلاف أيضًا .

- فوق بعضها البعض ، والصواب : بعضها فوق بعض . وهو خطأ متكرر .

- مشترواتها ، والصواب : مشترياتها .

- يشمل تجميد طوعي للأسعار ، والصواب : تجميدًا طوعيًا .

- إن لذلك معنى اقتصادي ، والصواب : اقتصاديًا .

- كان الدولار آخذ في الضعف ، والصواب : آخذًا . وهو خطأ متكرر .

- خلال العشرة أيام ، والصواب : خلال الأيام العشرة . وهو خطأ متكرر .

- هبطت التعاملات بمقدار خمسة نقطة ثمانية ، والصواب : خمسة فاصلة ثمانية ٥,٨ .

- نصيغ البيان العام ، والصواب : نصوغ . وهو خطأ متكرر .

- من الممكن احتواءه ، والصواب : احتواؤه .

- لن ينسَ ، والصواب : ينسى .

- لم يضرهم شيء ، والصواب : يضرهم .

- لم تحضر آندريه أي من شهاداتي في الكونغرس ، والصواب : أيًا .
- يطالبون بهامش فائدة إضافية لتعويض الشك والمخاطر المضافة ، والصواب : عدم التأكد (بدل الشك) .
- أحد قطع الديكور ، والصواب : إحدى . وهو خطأ متكرر .
- تكاد لا تكون لها عائدات ، والصواب : لا يكاد يكون لها عائدات .
- الاستثمار يكاد لا يساوي الادخار ، والصواب : لا يكاد يساوي .
- بالكاد بعد أربعة عقود ، والصواب : بعد أربعة عقود تقريبًا .
- تجاوز المؤشر الستة آلاف نقطة ، والصواب : ستة آلاف .
- كان الناس يستوفوني ، والصواب : يستوفوني .
- لا أرغب في إعطاء انطباعًا ، والصواب : انطباع .
- كانت الطاقة موضوع أساسي ، والصواب : موضوعًا أساسيًا .
- أكبر تحدي اقتصادي ، والصواب : تحدّ .
- أن يكون هناك انخفاضًا ، والصواب : انخفاض . وهو خطأ متكرر .
- لو أن هجومًا ثان ، أو ثالث ، أو رابع ، والصواب : ثانيًا ، أو ثالثًا ، أو رابعًا .
- ما لم تعاد آلية التنفيذ ، والصواب : تعد .
- أحدث كوني أتحدى خطة الإدارة على نحو علني هياجًا : ركيك .
- يمكن أن يقال بدلاً من ذلك : بما أنني كنت أتحدى خطة الإدارة فقد أحدث هذا هياجًا .
- لا يمكنهم شراءها ، والصواب : شراؤها .

- الفرشخة ، كان من المستحسن أن يذكر اللفظ الأجنبي ، لاسيما مع غياب قائمة المصطلحات .

- تحاولان ألا تفصحان ، والصواب : تفصحا .

- دفاتر بخانة واحدة ، لعل المقصود : الدفاتر المحاسبية ذات القيد البسيط .

- دفاتر ذات خانتين ، لعل المقصود : الدفاتر المحاسبية ذات القيد المزدوج . وهذا اصطلاح محاسبي شائع .

- صناديق التغطية ، لعل الأفضل : صناديق التحوط .

- تكلفة هامشية ، لعل الأفضل : تكلفة حدية ، وهو مصطلح اقتصادي شائع . الملاحظة متكررة .

- إن هناك نقصاً شديداً أخذ في التزايد ، والصواب : آخذاً .

- التحول التكتوني إحدى مشكلات القرن الحادي والعشرين : غامض !

- كما يشير الأمينان العموميان نفسيهما ، والصواب : نفسيهما ، بل أنفسهما .

- هذا التحليل معيوب ، والصواب : معيب ، أو فيه عيوب .

- محاسبة من يدخل أولاً يخرج أولاً ، والصواب : ما يدخل أولاً يخرج أولاً ، أو الداخل أولاً خارج أولاً .

- كونسورتيوم ، لعل الصواب : كونسورسيوم .

- يمكن أن يكون هذا واقع بالفعل ، والصواب : واقعاً .

- بضع منتجين ، والصواب : بضعة .

- إذا ما أعدنا النظر لأمكننا ، والصواب : أمكننا . ويمكن أيضاً : لو
أعدنا النظر لأمكننا .

- إحلال الموتور الكهربائي محل المحرك البخاري ، لعل الأفضل :
المحرك (بدل الموتور) .

- بتمويلها جزء ضخم من الاقتصاد ، والصواب : جزءاً ضخماً .

* * *